الشاسو

(البدو)

نص لـ المسرح



عباس منصور

الشاسو



- مركز الحضارة العربية مؤسسة ثقافية مستقلة، تستهدف المشاركة فى استنهاض وتأكيد الانتماء والوعى القومى العربى، فى إطار المشروع الحضارى العربى المستقل.
- يتطلع مركز الحضارة العربية إلى التعاون والتبادل الثقافى والعلمى مع مختلف المؤسسات الثقافية والعلمية ومراكز البحث والدراسات، والتفاعل مع كل الرؤى والاجتهادات المختلفة.
- يسعى المركز من أجل تشجيع إنتاج المفكرين والباحثين والكتاب العرب، ونشره وتوزيعه.
- يرحب المركز بأية اقتراحات أو مساهمات إيجابية تساعد علي تحقيق أهدافه.
- الآراء الواردة بالإصدارات تعبر عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن آراء أو اتجاهات يتبناها مركز الحضارة العربية.

رئيس المركز

علي عبد الحميد

مدير المركز

محمود عبد الحميد

مركز الحضارة العربية

٤ ش العلمين - عمارات الأوقاف

ميدان الكيت كات - القاهرة

تليفاكس: 3448368 (00202)

www.alhdara-alarabia.com

E.mail: alhdara_alarabia@yahoo.com
alhdara_alarabia@hotmail.com

عباس منصور

الشاسو

(البدو)

نص للمسرح



الكتاب: الشاسو

الكاتبة: عباس منصور

(مصر)

الناشر: مـركـز الحضــارة العربيــة

الطبعة العربية الأولى: القاهرة ٢٠٠٩

الغلاف

تصميم وجرافيك: د. سامى البلشى

الجمع والصف الإلكتروني:

وحدة الكمبيوتر بالمركز

تنفيذ: إيمان محمد

رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٩٨٢٣

الترقيم الدولي: I.S.B.N.977-291-643-5

منصور، عباس.

الشاسو/ عباس منصور.

– الجيزة: مركز الحضارة العربية للإعـلام والنشر والدراسات، ٢٠٠٨.

١٤٤ ص؛ ٢٠سم

تدمك: ٩٧٧-٢٩١-٩٤٣-٥

١– المسرحيات العربية.

أ– العنوان. ٨١٢

الجزء الأول

الهروب من مصر

ترنيمة

إلى إخناتون...

بك اكتملت آخر اللبنات في صرح العقيدة المصرية
وبك أخذ تحوت طريقه إلى الأبدية
فكن معي وأنا أخطو وسط هذا الحطام
محاطًا بالفتن وشرور البدو
الذين سوّلت لهم قلوبهم السطو على مواريث الحكمة
ومصادرة الطموح الإنساني في الخلاص من حبسة هذه الحياة
كن معي يا أبي مثلما كنتَ على الدوام عونًا للنور والحقيقة.

عباس منصور

تمهيد

مختصر سيرة البدو

في الدين والتاريخ

الشاسو كلمة مصرية قديمة أطلقها المصريون قريبا من القرن الثامن عشر قبل الميلاد على البدو الغرباء القادمين من جهة الشرق لغزو بلادهم، كما أطلقوا تسمية الهكسوس على أمرائهم ورؤساء قبائلهم، وقد تمكن هؤلاء الشاسو في فترة ازدهارهم من اقتطاع جزء من البلاد ما بين دمياط والشرقية في أفاريس وأقاموا فيه قرابة ثلاثمائة سنة حتى أجلاهم الملك أحمس مع بداية حكم الرعامسة من الأسرة الثامنة عشرة في القرن السادس عشر قبل الميلاد.

وهكذا صار الشاسو مرادفًا للبداوة وحياة الرعي والتنقل التي تميِّز حياة القبائل الرحل المتاخمين لحدود مصر الشرقية والتي كانت قبيلة إسرائيل "يعقوب" واحدة منها منذ اكتشف جده "إبرام" إبراهيم حياة المصريين واختلط بهم سبع سنوات ثم عاد ليوصيهم بأن ينتقلوا إلى مصر ويقيموا بها أربعمائة سنة حتى يعودوا بأملاك وفيرة، وهكذا صار وانقضت السنوات الأربعمائة بمجيء موسى هذا الطفل "اللقيط" الذي التقطه المصريون من اليم وأعطوه اسمه وثقافته.

وما كان لهذه القبيلة من قبائل الشاسو أن تزدهر وتتمركز في التاريخ إلا بفضل ما حافظوا على تداوله من قصص وأحداث ظلت تروى شفاهة قرابة ألف عام منذ ظهر إبراهيم إلى حيز التاريخ قريبا

من القرن السابع عشر قبل الميلاد وحتى القرن الخامس قبل الميلاد في الأسر البابلي حيث خاف كهنة الشاسو وأنبياؤهم من ضياع المخزون الشفاهي بالهلاك لدى الملك البابلي فعمدوا إلى تدوينه وكتابته ليصبح فيما بعد العهد القديم (التوراة) أسوة بـ (تحوت) الذي هو كتاب المصريين الجامع للحكمة ومواريث الكهنة والرائين في المعابد المصرية على مدار أكثر من ألفي عام سبقت الهروب الإسرائيلي من مصر والذي عُرف لاحقًا بالخروج.

وبهذا الجذر من التعاليم والحكمة تمكن الشاسو من أبناء يعقوب من صياغة وعي العالم – البشر – نحو الوجود – ظاهره والمخفي منه – وأصبح هذا الجذر من الحكمة ومنذ ذلك التوقيت حكرا على هذه القبيلة من الشاسو وامتد في نسلهم من إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف وموسى ويوشع وداوود وسليمان وأبنائهم وأحفادهم حتى يحيى وعيسى – وإن تم قتلهما بسبب عدائهما لمنطق الشاسو – وانتهاءً بالإلحاق الأخير للنسل الإبراهيمي في جزيرة العرب إلى أحد أحفاد عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب..... بن إسماعيل بن إبراهيم جد إسرائيل المباشر.

الآن وبعد الهروب من مصر في أعقاب أربعمائة وثلاثين عامًا – حسب أقوالهم – من الإقامة بها نحن أمام قبيلة تعدت كثرتها نصف المليون من المحاربين – بحسب رواية سفر الخروج – لهم أرض خلقها الله من أجلهم وكتبها لهم أبد الدهر على تخوم مصر الشرقية ولا بد من القتال والحرب لتنفيذ هذا الوعد والتمترس في الأرض وهذا ليس شيئا جديدا في تاريخ البشر فمن قبل عرفت البشرية أطماعا وحروبا للاستيلاء على ثروات الآخرين من الشعوب والقبائل ولكن الفارق الوحيد هذه المرة أن الحرب صارت قدرا ومصيرا ومقدسا إلهيا من خالق العباد والبلاد وأي اعتراض عليها هو اعتراض على مشيئة الرب الخالق المسيطر وبذا قد ظهر ما

يعرف بالحرب الدينية لأول مرة في تاريخ بني البشر.

هنا ولأنها المرة الأولى التي يُدعى فيها شعب يعقوب "إسرائيل" إلى القتال؛ هنا سيعترضون ويتملصون أربعين سنة حتى يموت مخلصهم موسى في سيناء ثم يقودهم تلميذه وخادمه يوشع ومن بعد تتسع رقعة الحروب الدينية حتى تبلغ أوجها في عهد حفيده داوود وتصل ذروتها في عهد الحفيد العربي للنسل الإبراهيمي والمبعوث والمستنفر من "بكة" في قلب الصحراء العربية وتتواصل حلقاتها في عهد الصليبيين ثم تندلع ثانية في عهد بلفور وحروب بوش في موطن الجد الأكبر على مقربة من أور الكلدانيين في بلاد الرافدين من حيث ارتحل الجد الأكبر "إبراهيم" صوب أرض كنعان أول مرة منذ ما يزيد على سبعة وثلاثين قرنا مضت.

وتاريخ المنطقة لدينا يحتفظ بسيرة نوعين من الحروب، الأول قاده أبناء المدن المنحدرون من حضارة ميراثها الاستقرار والصناعة ونموذجه الفصيح حروب الاسكندر الأكبر قائد الإغريق الذين وفدوا إلى المنطقة من غرب المتوسط في القرن الرابع قبل الميلاد فاستوطنوا وأقاموا المدن ومهدوا للعمران الجديد، والآخر قاده الشاسو المنحدرون من التخوم الشرقية ونموذجه الفذ حروب القبائل العربية واستنفارها من جزيرة العرب صوب الممالك المتاخمة شرقا وغربا خلال القرن السابع الميلادي وما تلاه.

وحصيلة لكل هذه المواريث من الغزو والحروب وعلى مدار أكثر من ثلاثة آلاف عام مضت استقر ما يمكن تسميته بخط الحضارة الإنساني أو الجذر الحضاري للإنسانية امتدادا من نينوى وآشور وبابل مرورا بالساحل الآرامي والفينيقي حتى كنعان ووصولا إلى منف وطيبة وهليوبوليس وتل العمارنة في مصر، هذا الخط الحضاري الذي صار هدفا لأي حركة استعمارية ناشئة أغرقته في بحيرة من العنف والدماء والأساطير كان أخطرها

حلقات حروب البدو (الشاسو) ابتداءً من دعوة موسى وحتى جيوش الأطلسي التي يقودها مركز الحرب الأمريكي في البنتاغون وقد سُخرت لها كل إمكانيات الحضارة البشرية في الوعي والصناعة من أساطيل ومخابرات وصياغات إعلامية تهيّء الوعي البشري للتعامل مع الوضع الجديد بقيادة الحفيد بوش.

ولك أن تحصي نتائج حروب الشاسو التي تأبدت في مرمى الوعي التاريخي، حرق الإسكندرية وتدميرها في القرن السابع الميلادي، تدمير بغداد بأجناد الشاسو المغول ثم التدمير الأخير بأجناد الشاسو الأمريكان، هل لأن نينوى وبغداد ومنف وطيبة مراكز إشعاع إنسانية ألهمت السعي البشري آفاقا جديدة في صناعة الحضارة والعلوم والفكر، تراها مؤيدة في النص المركزيّ المقدس الذي اعتمده الغرب منهلا للتربية والفكر والأخلاق على مدار أكثر من سبعة عشر قرنًا منذ الاعتراف بالمسيحية كأحد الأديان الرسمية في الإمبراطورية الرومانية الوارثة للمجد الإغريقي وحتى الآن، هل لأن ذلك كذلك انهمرت قنابل الشاسو الجدد ومدافعهم لإزاحة هذا الخط الحضاري عن تمترسه في قلب التاريخ الإنساني وذلك بامتلاكه وإلحاق الإهانة بشعوبه التي تبدو في سبيلها للانقراض.

فالواحد من أبناء الشاسو وطالما لا يؤمن إلا بالخيمة ونقاء النسل العرقي والعيش به وله على مدار التاريخ؛ الواحد من الشاسو وطالما لا يؤمن إلا بحياة الترحال والتنقل فلن يحفل كثيرا بصناعة المدنية وتطوير حياة الإنسان، وإلا بماذا تفسر هذا الإصرار الأسطوري على الاحتفاظ والانتماء للجد الأول مؤسس القبيلة على امتداد صحراء العرب أو في مفترق إسرائيل على مدار الأمم والجغرافيا والحضارات طول التاريخ؛ هذا الشاسو الذي لا يدّعي من مواريث الحضارة سوى نصٍ تتناقله الأجيال وقد أفاض عليه من الجلال والقداسة متخذًا إياه

يقينا لفهم العالم والتعايش فيه؛ نصًا يتواصل به مع الوجود والموجود ظاهرًا وميتافيزيقيًا، هذا الشاسو كم هو خطرٌ ودمارٌ وإعاقة في سبيل التطور الإنساني وعقبة في رقي الوجود؟!

وقد يقول قائل إذا كانت هذه صيرورة الشاسو فأين إرادة أصحاب الخط الحضاري من نينوى وحتى طيبة؟ يبدو أن تلك الشعوب وقد بلغت في تطورها شأنًا رفيعا قد اقتنعت بأن لا جديد يستحق الدفع وقد استنفذت كل طاقاتها في التحضر والعمران، أو ربما لأن طول الاختلاط والامتزاج بثقافات الشاسو وقناعاتهم قد أحدث شرخا وانقساما في الذات الحضارية لهذه الأمم والشعوب ولم تتمكن من الالتئام والاتحاد على ذاتها مرة أخرى أمام الضربات القاسية المتلاحقة لغشم الشاسو وجلافتهم على مر العصور حتى إن قائدهم في مصر وخلال القرنين التاسع والعاشر للميلاد قد هدّم المعابد والكنائس بامتداد مناطق نفوذه من الموصل شرقا وحتى طنجة في أقصى المغرب بل وقطع أيدي غير طائفته وألزمهم بلبس السواد ووضع الأجراس في رقابهم وحرّم خروج النساء من المنازل قرابة سبع سنوات ناهيك عن تحريم العديد من المأكولات والمشروبات وحشد في عاصمة الشاسو الجديدة (القاهرة) كل أبناء القبائل من الشرق والغرب من عقيل وحمدان ولواتة وزناتة وكتامة وهلمجرا من عجيج الصحارى في حين حرم شعوب البلاد من مباشرة حريتهم في المعتقد والفكر والعمران حتى إنه لم يعهد لأي منهم بمنصب في القيادة سلمًا أو حربًا واكتفى بتقريب الدخلاء والغرباء وأفاض عليهم من خيرات البلاد وثرواتها، اكتفى بحظوة الغرباء والدخلاء في الفكر والمعتقد حتى راجت الطوائف والمذاهب والهرطقات وخلفت حصادا من قصور الرأي والرؤية وضيق الأفق في المسعى والمعنى.

والشاسو الجدد في الغرب الأطلسي ولولا بقية من آثار الفكر

والرقي الذي امتد إليهم من النبع الروماني والإغريقي لما افترقوا عن جذر الشاسو الأصلي في شيء فالادعاءات هي نفس الادعاءات وروح النهب والتدمير والإعاقة هي نفسها وإلا بماذا يَعِد الشاسو الجدد أبناء المنطقة من الرفاهية والعمران، إنهم يعدونهم بالديموقراطية والتحرر من قبضة جلاديهم ونشر قيم الحداثة والليبرالية، وأنى لعاقل أن يقتنع بذلك؟! أليس هؤلاء الجلادون هم صنيعة نزعة الشاسو والبداوة في غرب المتوسط ومنذ الاحتكاك الدموي العنيف في القرن الحادي عشر للميلاد مع اندلاع حروب الصليب الدينية وحتى الآن مرورا بمحاولات الفرنسيين والإنجليز وأخيرا الأمريكان؟! وكيف تقوم حضارة أو دعوة لعمران جديد بالحديد والنار والمكر والعنف والإكراه وسلب الثروات وانتزاعها من أصحابها؟ ومن هم الجلادون الجدد؟ أليسوا هم صنائع الشاسو من كتيبة الأمريكان؟ وهل هم إلا رموز لضبط الإيقاع الطائفي والمذهبي والعرقي في سياق العمالة والصنائع؟! ألا يتصور العقل في مرحلة ما بأن هذا قدر المنطقة وسيرورتها ولذا فلا أمل في المقاومة ولا مفر من التسليم بمنطق المقدس السماوي والاحتكام للقدر المحتوم المؤيد على مآل منطقة بكاملها تمتد من تخوم أوروبا الشرقية وحتى منابع نهر النيل؟!

في العالم ثارت اعتراضات واحتجاجات في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق وقامت حكومات وذهبت أخرى تحت ضغط الوعي المناهض لمنطق الشاسو؛ لكن طالما أن الثروة والسلطة – التجارة والمخابرات – تحت سيطرة الشاسو الجدد فلا مناص من تمهيد الإرادة والوعي الإنساني وإخضاعهما لقوة الأسطورة والمدفع وقد بلغ الرقيّ الغربيّ حدًا في النظام وتوزيع المهام والمسؤولية في منظومات مؤسسية في التجارة والحروب بلغت معه حدًا كاسحًا كاد أن يقتل صوت العقل ورحمة الاختلاف واستنارة التعدد وعبقريته.

في العالم ثارت ومازالت تثور احتجاجات تعلو وتخفت أمام ضراوة الأكاذيب والمدافع التي تتحكم في مصائر شعوب بكاملها وخصوصًا في نطاق الخط الحضاري القديم بينما تخف الوطأة في مناطق أخرى من الشرق الأقصى وشرق آسيا وأمريكا الجنوبية، عصابات على منهج الشاسو تستبيح العالم وقناعاته في قزن العولمة والقرية الكونية، عصابات من الشاسو الجدد حرمت البشرية من حصاد التقدم والرقي وزرعت التاريخ في أتون المحن والفتن والمنازعات متوهمة بأن احتكار السلطة والثروة سوف يدوم إلى الأبد.

أقوال في الحقيقة المصرية

- ولما صارت الشمس إلى المغيب وقع على أبرامُ سباتٌ. وإذا رُعبة مظلمة عظيمة واقعةٌ عليه فقال لأبرام اعلم يقينًا أن نسلك سيكون غريبًا في أرضٍ ليست لهم ويستعبدون لهم. فيذلونهم أربع مئة سنة. ثم الأمة التي يستعبدون لها أنا أدينها. وبعد ذلك يخرجون بأملاك جزيلة.

١٢، ١٣ سفر التكوين ١٥، العهد القديم

- فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين. ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقًا وقد أحسن بي إذا أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين أخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم.

٩٩، ١٠٠ سورة يوسف، القرآن الكريم

- لا تكره أدوميًا لأنه أخوك ولا تكره مصريًا لأنك كنت نزيلاً في أرضه. **٧ سفر التثنية ٢٣، العهد القديم**

- فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت نحو ست مئة ألف ماشٍ من الرجال عدا الأولاد. وصعد معهم لفيف كثير أيضًا مع غنم ومواشٍ وافرة جدًا. وخبزوا العجين الذي أخرجوه من مصر خبز ملَة فطيرًا إذ كان لم يختمر. لأنهم طُردوا من مصر ولم يقدروا أن يتأخروا. فلم يصنعوا لأنفسهم زادًا.

٣٩، ٣٨، ٣٧، سفر الخروج ١٢، العهد القديم

- كتاب هيرودوت أكثر من كتاب تاريخي أو جغرافي، إنه مجموعة من التقارير الدقيقة جمعها رجلٌ محبٌ لمعرفة كل شيء ومرهف الحس وعلى استعداد دائمًا للإعجاب بكل ما يزاه ولا يدهش لأن "يكون بوسع كل فرد أن يصير مصريًا"

معجم الحضارة المصرية القديمة تأليف جورج بوزنر وآخرين.

- ولاشك أن موسى كان مُلمًا بأقوال أولئك الأنبياء الاجتماعيين الذين كانت أقدم كتاباتهم متداولة بين المصريين منذ (١٥٠٠سنة) عندما ابتدأ موسى تعليم قومه، ومن البديهي أن رجلاً مثله نشأ محاطًا بمثل هذا النوع من الأدب كان لزامًا عليه أن يشعر بالحاجة إلى دين يشتمل على تعاليم خُلقية يزوّد به قومه.

جيمس بريستد، فجر الضمير

الطلعة الأولى

الأم "آسيا" في غرفة "الكا" بالقصر الملكي، الغرفة عامرة بالنقوش على الحوائط والأرضيات والبُسط، تميزها خريطة بارزة للقبة السماوية، تحدّق فيها الأم آسيا وهي في صلاة صامتة مع ظهور ترنيمة النيل :

غسلوني بماء النيل
وكفنوني في شفيف كتانه
فذا نعيم في ربوع جنانه
وذا خلود في دين سكانه
جلّ الذي أصفاك يا حابي
حكيمًا تسامى عندنا شانه

في الشطِّ بيوتٌ ومعابد
ونفوسٌ تزدان سماحةً
وطنٌ مسكون بالصدق
معمور بالودِّ وبالراحة
تلقاه أمانًا للناس
إن عمّت في الخلق مناحةٌ
النيل أبونا من أبدٍ يسمى

في الناس نماءٌ ما كلّت قدماه

من كلّ بهيّ جلب إلينا

النيل أبونا روحٌ تسري

في الأرض طهورًا وحياة*

كريمٌ ما في الندى مثله

حَمُولٌ زاهدٌ فيما لدينا

أمينٌ يرعى أزمّتنا

إن ذهبنا أو أتينا

عهودك يا نيل دَيْنٌ

إن رضينا أو أبيْنا

طهروا كفني بماء النيل

وزملوني في رحابه

فياما تضيق بخطوتي الدنيا

وما أوصد في الوجه بابه

طهروا قلبي بماء النيل

وشيعوني في ركابه.

مع انتهاء الترنيمة تدخل كبيرة مستشرفات المستقبل "كاتحوت" تحمل العديد من لفائف البردي، تفك عقدة إحداها وتأخذ في القراءة في حين تجلس آسيا متكئة على إحدى الأرائك.

كاتحوت كل الأمور على ما يرام يا سيدة الأمومة في ملكوت آمون رع.

آسـيا "سيدة في العقد التاسع من عمرها إلا إنها تبدو بحافظة قوية وحضور متماسك"

حسنًا.. حسنًا يا كاتحوت.

كاتحوت "تتابع القراءة" وسيمضي الزمن بقلبك الكبير وفق مشيئة روحك العامرة بدفء التاسوع، بكل ما هو حقٌ وطيب يا آسيا، يا سليلة مخلصنا من الشاسو في كل عصر وآن.

آسـيا حسنًا.. حسنًا يا كاتحوت.

كاتحوت "تضع البردية جانبًا وتتمشى ببطء محدقةً في القبة السماوية"

وتمضين بشيبة ناعمة صالحة إلى ملكوت أسلافك والقلب مفتكرٌ تعاليم الآباء.. تمضين في ثبات...

آسـيا "مقاطعة في تململ" حسنًا.. حسنًا يا كاتحوت.

كاتحوت "مستجمعة كل رقتها.. بصوت حنون"

تمضين مطمئنة صوب عالم آبائك الفسيح...

آسـيا "جازعة وقد انفرط جأشها" حسنًا..حسنًا يا كاتحوت.

"تدخل إحدى فتيات القصر بزيّها المميز، تُسِرّ في أذن كاتحوت ببضع كلمات ثم تنصرف، بينما آسيا لم تعر الفتاة أي اهتمام"

كاتحوت حسن جدًا يا سيدة الأمومة، هو ذا ما يشغلك وتودين استطلاع أمره، هو ذا قادم نحو القصر.

آسيا "بلهفة" حقًا يا كاتحوت؟!

كاتحوت هـو ذا طفلـك الأبـدي قـادم نحـوك، اسمحـي لـي بالانصراف "تهم بالخروج ثم تتصرف متمتمة"

حمـاكِ ربّ تفنـوت وحـابي يـا سيدة الأمومـة وأدام علـى الأرض السلام.

"تتصـرف كـاتحوت، ولأول مـرة منـذ دخـول كـاتحوت تنهض آسيا، تعدل مـن هيأتهـا، تحـدق فـي السـقف ثم تدخل فـي صلاتها"

آســـيا يا رب كيمت وأوزير، يا والدي العظيم آتوم، يا واضع الحكمة والميزان فـي قلب ماعت، يا أبي، خذني إليك بشيبة صـالحة، لا تضـغط علـى قلبي بـالمحن، واربـط قلب طفلـي "مـوس كـا" بـأرض حـابي إلى الأبـد، لقـد حلّـت فيـه روحـي، فـلا تدعـه يغيـب عـن عيني بعـدما أعطيتـه اسمـه وكلماتـه، ذلـك مـوس كـا، فكيـف ترضـى بـأن يتغـرّب عـني وقـد انحـطّ بصـري وتيـبّس ظهري، فأعد قلبه إلـيّ يـا فـاتح الأرحـام بكـل جديـد وفاتن، يا فاتح السماء بالمطر والحكمة، اسمعني فـي محـنتي واسـتجب لضـعفـي وشـيبتي، يـا رب حـابي وإيزيس، يا إله الخصب والنماء.

"يدخل موس كا.. شيخٌ فـي العقد السـادس مـن عمـره، وآسيا تواصل صلاتها"

بالحق لقد أغلقت رحمي فما غاض بالحمـل والـولادة، إلا أنك فتحت أمام روحي كلّ أبواب الحياة ومنحتني موس كـا، حمله حابي إليّ فـي ذاك الصباح المبارك، وشبّ على عيني وعين أبي راموس، فطوباك يا راموس ويوركت روحك فـي البَرّ الغربي، عندما يغيب قرص

الشمس وراء الأبدية. طوباك يا راموس...

"تهتز نبراتها.. تبكي، تخنق الدموع صوتها، يقترب منها موس كا، يركع أمامها باسطًا يديه، تعطيه ظهرها وتحاول الانصراف، يعترضها موس كا وينجح في استيقافها"

موس كا: ألهذه الدرجة أنتِ غاضبةٌ عليّ يا سيدة الأمومة!؟

"لا ترد.. يمسك بيدها.. ينحني مُقبّلاً إياها"

يا سيدة الأمومة في برّ حابي، ماذا تبقى لي إن غضبتِ عليّ، تعلمين لو التفتَ قلبك عني ما صحبتني ظلالي، وأنا الآن صرت شيخًا، لي أبناءٌ وحفدة، ويا ويلي إن عصوني وأساءوا إلى شيبتي.

آسـيا: فلماذا تهلكني بعصيانك لي!؟ أما يكفي أني احتملتُ غيابك الطويل عند "يصّار" هذه السنوات حتى تهيأت الأمور لعودتك.

موس كا: لستُ من الجاحدين يا سيدة الأمومة حتى أنسى رعايتك لي التي ما غابت لحظة واحدة مذ أتيتكِ سابحًا على سطح حابي.

آسـيا: وقتلت بريئًا من رعيتنا وهربت في أرض "مَدْيَة" على تخوم البَريّة في سيناء، وتبعتْك عيوننا في البَرّية وأمّناك هناك أكثر من أربعين سنة يا موس كا، وها أنت تعود بعد كل هذا الغياب أشدّ قسوةً وإيلامًا، تعد العدة للرحيل.

موس كا: ما ذقتُ طعم الحياة ولا هنئتُ بنعمة.. إن هممتُ يا أمي.

آسـيا: إذًا فما هذا الذي أسمع ويصمّ آذان الشعب في طول الأرض وعرضها.

موس كا	عم تتحدثين يا أمي!!؟

آسيا	أما حرضت الشعب من الشاسو على النزوح عن أرضنا!؟

موس كا	إنهم يريدون العودة ولا أستطيع اعتراضهم.

آسيا	وأنتَ؟

موس كا	أنا... أنا ماذا!؟

آسيا	ألن تنزح معهم؟ سمعتُ أنك تقودهم. يا بنيَّ.. صُنْ روحي واحفظ معك معروفي، استجبْ لضعفي في شيبتي حتى يبقى ذكرك ثابتًا في الشعب من جيل إلى جيل.

موس كا	"باكيًا" ربُّ سيدي وموقّع اسمي يأبى إلا أن أكون صادقًا معك يا أمي. "وينفجر في البكاء"

آسيا	تحضنه وتربّت على رأسه "هوّن عليك يا موس كا، دعهم يخرجون، هذا دأبهم منذ فرّوا من الصحراء أول مرة إلى أرض حابي، يأتون ويذهبون، بل إن بعضهم حكم أجزاءً من بلادنا وأقام عليها حصونًا ومنهم من عاش معنا كواحدٍ منّا، أنا نفسي.. يا موس كا.. أسلافي أتوا من الشرق بدوًا غرباء منذ أيام الملك "سنو" ثم صاروا مع الوقت مصريين، فدع الشاسو يخرجون وابق معنا وكن مصريًا مثل سائر أفراد شعبنا.

موس كا	عمن تتحدثين!؟

آسيا	عن الشاسو وزعمائهم الهكسوس من أمراء البدو في صحراء الشرق والذين سكنوا أواريس من قبل، لقد التقطتُكَ منحةً من اليمّ، من "تفنوت أتروعا" حيث حملتكَ المياه إليّ.. إلى بيتي، وأكرمناك، ومات أبي راموس وهو راضٍ عنك، فكيف تأتي الآن وتحرّض

هؤلاء البدو على الهروب والعصيان، كيف تقودهم وأنت لستَ واحدًا منهم؟!

موس كا: "الذي كان يصغي باستغراق" أنا لم أحرّضهم، لكنهم اختاروني.

آسيا: وأنت استجبت لهم!!، يا لك من طيب أيها الابن البريء، ألم تسأل نفسك لمَ أنت بالذات؟! لماذا اختاروك لتنال قسوة أخي الملك "مارين" ويشتدّ قلبه عليك أمام كل هذه الشعوب من البدو الشاسو!؟

موس كا: لأنني الوحيد القادر على رياستهم وتدبير أمورهم مع أخيكِ الملك. أنا المهيأ لتدبيرهم.

آسيا: لا.. لأنك أقربهم إلينا، فجميعهم يعرفون قدر محبتي لك وتعلق روحي بك يا موس كا، وأنت أكثرهم اطلاعًا على أمورنا، لقد منحك الرب بصيرة لا تخطئ، فتدبر أمرك واتبع ما يمليه قلبك عليك ولا تجعلني في محنة مع أخي الملك.

"تصفق، تأتي إحدى فتيات القصر، تهمس آسيا في أذنها، تنصرف وبعد لحظات يجهز طقس البخور والبركة.. ثم تخاطب موس كا"

الآن سأباركك وأقدس روحك علها تكون المرة الأخيرة وتخرج منك أنفاس "ست" وأعوانه الأشرار إلى الأبد.

موس كا: لكني أتيتكِ في أمر آخر، وكلي رجاء أن تصغي إليّ...

آسيا: فيما بعد.. فيما بعد.

"تدخل فتيات القصر تتقدمهن حارسة الأرواح الملكية "كانفتيس"، يحملن المباخر، تتوجه آسيا إلى مجلسها الأول مصطحبة موس كا، تجلسه بجانبها بينما تتحلق

"الفتيات حاملات المباخر حول مجلس آسيا وموس كا، تأخذ كانفتيس في إنشاد ترنيمة الرقية المصحوبة بعزف القيثار"

كانفتيس يا بصيرة الشعب، يا رب الصدق والفضيلة، احفظ الحاضر من رعاياك، احفظه من أفاعيل "سخمت" وعشيرته الشريرة، نجّه من انهيار جدار أو نزول صاعقة، احفظه يا رب البصيرة من وخم الجذام والبرص والعمى، اجعله ناصعًا كصفحة "خونسو" أو وجه "نوت" المصقول كالفضة، نقّ سريرته من فحيح "ست" وأعوانه، من غدر "سخموي" وخديعة "سويك"، طهّر قلبه من وساوس "ست".. آمين.. آمين يا رب البصيرة.

"مع انتهاء طقس البخور والبركة تنصرف الفتيات، وتتبعهن كانفتيس بينما يبقى موس كا وآسيا على حالهما"

موس كا لكنني أتيتك في أمر آخر، يا أمي.

آسـيا أنا مجهدة، ألا يمكن تأجيله؟

موس كا حبذا لو كان الآن، إنه أمرٌ قديم، وقد ترددت طويلاً في إخبارك به.

آسـيا حسنًا يا موس كا، ها أنا ذا أسمعك.

موس كا "يتحرك صوب الباب"

لحظة واحدة

"يقف بالباب ووجهه للخارج مناديًا"

هارا.. يا هارا تعال.

"يصطحبه موس كا ويتوجه به نحو آسيا"

هذا أخي هارا.

آســــيا "تطيل التأمل والتحديق فيهما وقد عقدت الدهشة لسانها وبعد لحظات تستجمع كلماتها"

ماذا قلت!؟

موس كا إنه هارا أخي.

آســــيا وهل لك أبٌ وأمٌ غير حابي وقلبي!؟

موس كا "ينظر تجاه أخيه" معذرة يا...

آســــيا "تقاطعه" وهل جاء هو الآخر سابحًا في قفةٍ تحمله أمواج النهر؟!

موس كا إنه أخي ابن أبي مثل كل أفراد شعبي، وأطمع أن تجدي له عملاً لديك في القصر...

آســــيا "تحاول السيطرة على نبراتها بصعوبة"

كفى.. كفى

"تحاول الجلوس يسندها موس كا"

اغربا عن وجهي اتركوني وحدي.. اتركوني.

"تظلم الغرفة تدريجيًا مع صعود ترنيمة النيل"

غسلوني بماء النيل

وكفنوني في شفيف كتانه

فذا نعيم في ربوع جنانه

وذا خلود في دين سكانه

النيل أبونا من أبدٍ يسعى

في الناس نماءً ما كلّت قدماه

من كلّ بهيّ جلب إلينا
في الأرض طهورًا وحياة

طهروا كفني بماء النيل
وزملوني في رحابه
يا ما تضيق بخطوتي الدنيا
وما أوصد في الوجه بابه
طهروا قلبي بماء النيل
وشيعوني في ركابه.

الطلعة الثانية

"عريش من البوص في الخلاء، بداخله مصطبة على ارتفاع متوسط، يجلس فوقها موس كا، حوله مجموعة من النساء، وتبدو فيهن حارسة الأرواح الملكية "كانفتيس" التي ظهرت خلال طقس البخور والبركة في "الطلعة الأولى" ومنهن "فوعات" إحدى العاملات في الاسطبلات الملكية، على مقربة من العريش يتصاعد دخان الشواء ورائحة اللحم المحترق والريش، كما يُسمع اصطفاق أجنحة الطيور بعد الذبح، حيث يقوم "هارا" بأخذ القرابين والنذور والكفارات من الحضور وتقديمها على المذبح والمحرقة، ومن خلف المذبح والمحرقة تمثال بارز للعجل المقدس "أبيس". "كانفتيس" التي يتضح أن اسمها "شفراته" تجلس على يمين "موس كا" على الأرض وأمامها بقليل وعلى يسار "موس كا" تجلس "فوعات". موس كا مستغرق تمامًا في أداء الصلوات وعبق احتراق الذبائح يزحم المكان".

موس كا يا رب يائيل، ها نحن نعود لنمحو سنوات افتقادك لنا.. لشعبك الأثير لديك، هؤلاء الخراف غلاظ الرقبة استمرؤوا الإقامة عند أبناء مصرايم من نسل الملعون حام، يا رب يائيل شدد عزيمتي وآزرني بأخي حتى نخلّصهم من عبودية أبناء حام. إنهم يخطئون ويسيرون وراء الآلهة الغريبة لأبناء حام في مصر وأرض كوش، وها أنت أرشدتني إلى خلاصهم، هذا الخلاص لن يكون إلا بالدم والنار والخديعة، وكما تراني فقد

أوقدتُ النار، ونصبتُ المذبح ليسيل الدم قرباناً لنا عندك، ونثرتُ أعواني في القصور والمعابد على امتداد أرض حابي، نثرتُهم تروس خلاصٍ لشعبك يكدحون بكل همّة وعزيمة فكن معهم ولا تخذلهم.

"تنهض شفراته وفوعات، تمسحان رِجْلَيْ موس كا بشعريهما وقد خنقتْ العبرات صوتيهما"

شفراته وفوعات بوركتَ يا خلاص شعبنا، بوركت يا قدس أقداس ياثيل، يا زهرة الأعياد، يا عصير الألم والمشقة من أجلك يهون كل شيء.. مالُنا ودمانا.

"تدخل "رحنوت" بهدوء، امرأة في العقد الثالث تقدم فرخ بطٍ إلى "هارا"، تتلفظ ببضع كلمات معه، يأخذ منها القربان"

موس كا تعالي يا رحنوت، من أجل خلاص شعبنا يهون كل شيء.

رحنوت وربِّ ياثيل ما كنتُ راغبة في مثل هذا...

موس كا "مقاطعًا" هوِّني عليك يا أختي، فربّ ياثيل يبارك سيرتك وخطاك.

رحنوت لقد انكشفتْ ساقي غصبًا عني، وأنا أضع العلف في المِزود فرآني أحد الكلافين في الحظيرة الملكية، أمسك فخذي، عصره في يديه، فما شعرت بشيء حتى أفقتُ ووجدت الدم يعتصر من سراويلي الداخلية.

موس كا قربانك مقبول وعثرتك مغفورة يا رحنوت.

"ينادي على هارا"

يا هارا. ترفقْ بنسوة ياثيل، كن رحيمًا بهن يا هارا، وخذ قرابينهن ولو كانت من لحم الهوام والبعوض فرب ياثيل ظامئٌ إلى أنفاس تويتهن ظمأ النار إلى الهشيم.

"يومئ لأخيه بالانصراف، فيخطو تجاه المذبح ثم يوجه كلماته لرحنوت وشفراته وفوعات"

أنتم ثروتنا الحقة يا نسوة يائيل، أنتم كنزنا الأبدي على مر العصور، بفضل سحركن نركب أكتاف الأمم، وتهفو إلينا الشعوب الغريبة، فنسوقها إلى الوجهة التي نريد، مباركاتٍ يا نسوة يائيل من عهد الأم العظيمة سارين امرأة أبينا الأكبر "برئيل" وحتى ربة كانفتيس المعظمة شفراته، سيكون لكن مجدٌ يا نسوة يائيل وتمضي ذكراكن في الشعب من جيل إلى جيل يمجّدها الرب إلى أبد الدهور.

"يدخل كهّات وبن عازن، واحدًا تلو الآخر في هدوء وحذر، تتنحى النسوة جانبًا، يترك هارا المذبح والمحرقة ويقترب من الرجلين في حضور موس كا"

هـــــارا مرحبًا بأبناء يائيل وترس قوته المتين، مرحبًا يا أخوتي.

"يُشير إلى النساء بالخروج، ينهض موس كا وينقَل خطواته مقتربًا من الرجلين"

كهّـــات تمجّد اسم سيدي وترس خلاص شعبنا...

موس كا ماذا وراءكما؟!

بن عازن أصحيحٌ أن الشعب سيذهب للعيد في البرّية هذا العام ولن يعود إلى هنا ككل عام؟!

موس كا صحيحٌ.. صحيحْ.

كهّـــات ولماذا يأخذون الزينة والهدايا من المصريين ماداموا لن يردوها كعهدهم في كل عام؟!

هارا هذه أمورٌ لا دخل لك بها يا كهّات.

موس كا	انتظر يا هارا، إنه منّا وقد وضع حياته تحت تصرفنا فحقّ له أن يسأل ويعلم.

كهّــــات	معذرة يا ترس خلاصنا، ماقصدتُ الإساءة.

موس كا	لا عليك، إن أموالهم مباحةٌ لشعبنا، وقد أعطاها ربّ يائيل لنا منذ الأزل، ثمّ علينا ألا نشعرهم بأن شيئًا غريبًا يحاك ضدهم، نريد أن يمر كلّ شيء حسب نظامه المعتاد ككلّ عام.

بـن عـازن	جُعلْتَ ينبوع حكمة لكل أفراد شعبك يا موس كا

موس كا	"مخاطبًا بن عازن" تعلمون أن كثيرًا من أبناء الشعب لا يفضلون الخروج من مصر والعودة إلى أرض يائيل.

بن عازن	نعم.. نعم هذا صحيح.

موس كا	وأنت واحدٌ من هؤلاء، ولا تودّ الهروب معنا، أليس كذلك؟!

بن عازن	"مرتبكا" تعلمون أن آبائي هنا من قبل جدكم يائيل، كما أن عيون القصر لا تغفل عني لحظة، وهروبي معكم سوف يسبب لكم كثيرًا من المتاعب أنتم في غنى عنها.

هـــــــارا	نعلم.. نعلم.

موس كا	ونحن لا نطلب منك الخروج، وكذلك كل أبناء عمومتنا من الشاسو المقربين من القصور الملكية.

بـن عـازن	عفوًا يا سيدنا.. مازلتُ لا أفهم!!

كهّــــات	وحتى أنا لا أفهم.

هـــــــارا	"غاضبًا" عليكم السمع وليس عليكم الاعتراض والجدل.

موس كا	دعهم يا هارا، قلت لك من حقهم أن يعلموا.

"يتمهل قليلاً، يتفرس ملامحهم، ينقّل نظره فيهم واحدًا واحدًا حتى هارا"

تعلمون أن شعبي لا يرحب بالخروج إلى أرض يائيل وإن علموا أن ذلك مقصدنا فلن يخرجوا معنا، لكن ماذا نفعل إذا كان رب يائيل قد افتقدهم وصرخ لاستعادتهم، وتخليصهم من عبودية هذه الأمم الغريبة!!

هـارا	تعالت مشيئة رب يائيل ومخلّصهم من العبودية.

موس كا	ولهذا عليكم جميعًا وعلى أعواننا وأبناء عمومتنا من المقربين والوجهاء وكل الشاسو في مصر أن يخبروا الشعب بأنه عيدٌ ككل عام.. مجرد سبتين في الخلاء أمام رب يائيل في بريّة أوريس ونعود.

بن عازن	وماذا لو أصروا على العودة إلى هنا بعد انتهاء العيد؟ ماذا لو رفضوا مواصلة الهروب معك نحو أرض يائيل؟!

موس كا	"غاضبًا وقد احتدت نبرات صوته فظهرت لثغةٌ في صوته"

هذا ليس من شأنك ولا خوف على الشعب مادام ربّ يائيل يسير أمامهم ويقود أقدامهم إلى أرض أبيهم.

"صوت خطوات مهرولة لاهثة، تقترب، ثم تظهر رحنوت وتهمس في صوت متقطع إلى الجميع وقد التفوا حولها"

رحنـوت	أين شفراته؟!

هـارا	أما ذهبتْ معك؟!

رحنـوت	لقد انصرفتُ إلى الحظيرة الملكية وتركتها عند الباب، وها هم يبحثون عنها وقد أرسلت الملكة الأم

فـي استدعائها ولم تجدها.

"ينظر كلّ منهما للآخر"

هـــــارا عودي يـا رحنـوت إلى مكانـك ولا تجعلـي أحدًا يلحظ شيئًا ، ولا تأتي إلى هنا ثانية حتى آذن لكِ.

"تنصرف، يعاودون النظر في وجوه بعضهم البعض"

بـن عـازن علينا الانصـراف حتـى يتضـح أمـر شـفراته ونعلـم مصير كلّ حي.

هـــــارا "مصطحبًا موس كـا" هيا بنا.

"يظلم المكان تدريجيًا مع حلول ترنيمة الغرباء"

نحن أهل المَدرْ

نابذين إلى الحضَر

سعْيُنا فـي خِصامٍ

إن يلق ودًّا لا يذر

شرْعُنا وحيُ الخَلا

خطّ أقدار البشرْ

إن تحيا فـي الناس وحيدًا

ما نفعُ حياة الغرباء

لا قلبٌ يرقى منبوذًا

أو حرثٌ ينمو فـي الماء

الناسُ أناسٌ بالأُلفةْ

تعسًا لحياة الغرباء

من سفنٍ وفيافٍ جئنا
وسنحيا في حقل أبينا
لا أحدٌ في الناس سيمنعنا
أن ننشئ وطنًا أو دينا
هل يهنأ أحدٌ بحياة
إن فقد الأبّ مساعينا

إن تحيا في الناس وحيدًا
ما نفع حياة الغرباء
لا قلبٌ يرقى منبوذًا
أو حرثٌ ينمو في الماء
الناسُ أناسٌ بالأُلفةْ
تعسًا لحياة الغرباء

في البدو غرامٌ وغيومْ
في البدو عظامٌ تندقْ
وقلوب في النقع تهيج
تصعد في الجوع وتنشقْ
إن نزل البدو بشعبٍ
يسفح من دمه ويلعق
يا ربّ الصحراء تجلّى
وانقذنا من شرّ الخلق

إن تحيا في الناس وحيدًا
ما نفع حياة الغرباء
لا قلبٌ يرقى منبوذًا
او حرثٌ ينمو في الماء
الناسُ أناسٌ بالأُلفةْ
تعسًا لحياة الغرباء.

الطلعة الثالثة

ظلام دامس تتخلله أصوات مجدافين يضربان الماء برتابة، لا يظهر من هذا السكون سوى أصوات المجدافين ويمكن استخدام شاشة تظهر عليها ظلال القارب وهو يسير برتابة على سطح النيل، بعد فترة يضاء المسرح تدريجيًا فتتكشف الظلمة وأصوات المجدافين عن ردهة كبيرة في قصر "كارا" جابي الضرائب وصديقه "كهّات" الذي اصطحب عشيقته شفراته، كارا يقطع المكان جيئة وذهابًا بينما اندمج كهّات وشفراته في الشراب والإيماءات الماجنة.

كــــارا "يقطع المكان مستغرقًا في التفكير"

يبدو أن ساعة الحساب قد اقتربت أيها الأوباش!!

شـفراته "مُنادية على كارا".

تعال.. خذ حظك من الحياة قبل أن يجيئوا

"ثم تعود للشراب واللهو"

كــــارا "وكأنه لم يسمع شيئًا"

أخشى أن أكون قد أخطأتُ الحساب.

كهّـات حساب.. حساب! أما لديك شيء آخر سوى الحساب أهلكت القوم وقضيت على أرزاقهم.. كفى حسابًا وهلمّ إلى الشراب يا رجل.

كارا أيعقل أن أكون قد أدركت الأمر بعد فوات الأوان؟!

كهّـــات "وقد زادت حدة حركاته واضطرب صوته من أثر الخمر" إن للأموال ربًا وللأرواح ربًا آخر ولا يعقل أن يكون ربهما واحدا يا كارا؟!

كـــــارا "وقد أخذ يهتم بما يقول كهّات" ها هي الخمر قد أشعلت شياطينك وبدأت التخريف، يحسن بك أن تقلع يا رجل فالرجال على وصول.

شـــفراته ولم لا تقلع أنت؟! أتعبتنا معك، ونحن كعادتنا لا نحسن الانشغال بأمرين في وقت واحد، والآن وقت اللهو والخمر لا وقت التدبير والأمر.

كهّـــات يبدو أنه لم يعد واحدًا منا، "يومئ نحو كارا"

كـــــارا صحيح.. لم أعد واحدًا منكم ولم أنضم بعدُ إليهم.

شـــفراته ألست محظوظًا ومقربًا من القصر الملكي برعا؟!

كهّـــات إن "مارين" العظيم يوليك كل اهتمام ورعاية ويقرّبك منه كما لم يفعل مع أحد قبلك من الشاسو.

شفراته وخصوصًا أنه أصبح شديد الحساسية هذه الأيام، بل ويسخط علينا لأتفه الأسباب.

كـــــارا من الطبيعي جدًا أن يقربني. ألستُ المسؤول عن تسيير أموركم وتنظيم الأمور المالية في مدن الملك؟!

شـــفراته ماقصدت هذا!! إنك الوحيد من الأجانب الذي يدعوه إلى الطعام معه!! بل وأحيانًا إلى النزهة في البساتين الملكية.

كهّـــات شفراته.. لا تضغطي على أخينا كارا، فهو في موقف لا يحسد عليه، صحيحٌ أن اسمه منا لكن روحه مع الملك.

كــــارا صدقتَ يا كهّات، فلطالما عزمت على حسم هذا الأمر إلا إنني لم أجرؤ.

شـفراته اشرب. "تناوله قدحًا من الجعة، يأخذه مستسلمًا" فليباركك الجدّ "أبوفيس" محبوب الإله "سوتخ" في محفل "مولك وكموش".

"صوت طرقات خفيفة على الباب، يطفئ كارا معظم الأضواء في الصالة، ولا يتبقى سوى ضوء ضعيف ينبعث من الداخل، ثم يتوجه صوب الباب من ممر جانبي، بعد قليل يعود يتقدمه ثلاثة أشخاص واضعين أقنعة على وجوههم، يهرع نحوهم كهّات وشفراته، يركعان ويقبلان الأرض تحت أقدامهم، عندما ينهضان يشرع الوافدون في خلع الأقنعة فيبدو من ورائها موس كا وأخوه هارا وبن عازن حامل الكؤوس الملكية، ثم يعود كارا من الداخل حاملاً آنية البخور يتصاعد منها الدخان، موس كا يدخل في صلاة والجميع خلفه يرددون في صوت منتظم، يُسمع كهمهمات منغمة أكثر منه كلمات واضحة.

موس كا إليك يا أيها الماجد وراء السحاب، يا من أشرقتَ عليّ في بريّة سينا مثل عامود من دخان، إليك يا من كلمتني، يا رب غربتنا، ها هم شعبك ساروا تمامًا مثلما أردتَ، وها هي سنوات غربتنا توشك على النهاية، تمامًا كما أخبرت آباءنا وأجدادنا من قبل، فكن معنا وأعطنا وعدك، أن نخرج بالأملاك الوفيرة من بر آمون رع.. أخرجنا بسلام وأنقذنا من بطش الملك ورجاله الأشدّاء. يا مؤنس الشاسو في البراري الموحشة، ها هم شعبك.. أبناؤك وأبناء رجالك الذين

عاهدت منذ مئات السنين، كن لنا ترسًا على "مارين" ورجاله الأقوياء.

كـــــارا آمين.. آمين

"يتوجه بآنية البخور ويقربها من موس كا"

بـن عـازن هل اقترب الخلاص أيها السيد المبارك!؟

موس كا كونوا مستعدين فقد نبدأ في الخروج في أي يوم.

كـــــارا وكيف الأحوال بالخارج؟

هـــــارا جنود الملك في كل مكان وكأنهم في انتظار الأوامر لبدء الهجوم.

بـن عـازن أصبتَ ياهارا.. حتى القصر الملكي لم يعد كما كان.

موس كا ماذا أصاب القصر؟

بـن عـازن بعد خروجك من عند الأم آسيا سقطتْ مريضة وقد زارها الملك أكثر من مرة.

هـــــارا وهل علمت بما دار بينهما؟! تعلم أنها أملنا في السيطرة على الملك إن غضب.

بـن عـازن لا أظن ذلك.. يبدو أنكما...

"يشير إلى موس كا وهارا"

أسأتما إليها كثيرًا في المرة الأخيرة، لدرجة أنها لم تبرح غرفتها منذ ذلك الحين، وحتى باعثات السرور في برعا لم يظهرن في أروقة القصر منذ خروجكما من عندها.

موس كا حزني عميق من أجلها.. لكن ما حيلتي!! "مشيرًا إلى شفراته" وأنتِ يا زانية منف، كيف حال أعواننا في

مدينة الأسرار المقدسة؟

شفراته: يقرئونك التحية

"ثم تتصرف صوب مائدة الشراب، تُخرج بعض البرديات من حقيبتها وتعطيها لموس كا"

وأرسلوا إليك هذه البرديات.

موس كا: "وقد فك عقدة إحداها وأخذ يتصفحها" عال.. عال فليباركك إله يائيل يا شفراته، كوني على اتصال معهم، فأعواننا من شعب الشاسو في المدينة المقدسة لن يتخلوا عنا أبدًا.

هارا: إنها أملنا الوحيد في البقاء على مر الزمن من دورٍ إلى دور وهي غايتنا بعد الهروب من هنا يا كارا، إن أبانا ينتظرنا هناك في بريّة سينا عمودًا من دخان في مرمى الخيمة وعلينا أن نخفّ إلى لقائه.

كارا: "مخاطبًا كهّات" أما تكف عن الشراب يارجل؟ اذهب واحضر لنا بعض الطعام من المَضْيفة الملكية.

كهّات: "وهو ينصرف" حالاً.

بن عازن: أعتقد أن ما لدى كارا من الأموال يكفي شعبنا في الهروب.

كارا: أي أموال تقصد؟

بن عازن: ما أسرّبه إليك من برعا عن طريق الأعوان.

هارا: وما تجمعه من ضرائب فرضناها على شعب الشاسو بعيدًا عن عيون الملك.

كارا: جميعها في ازدياد مستمر وأنا لم أحصها حتى الآن، ولكنها جاهزة في أي وقت تقصدونها.

بـن عـازن "غامزًا كـارا" أم أنـك تطمـع فـي تربيتها وتعشيرها يا كارا؟!

كـــــارا وما العيب فـي ذلك؟

هــــــارا إنها أموال الشعب، ذهبٌ وفضة مـن خيرات شعبنا فـي أرض أون، ولا يجوز لك التصرف فيها إلا بـأوامر مني أو من موس كا.

كـــــارا على العموم أموال الشعب محفوظة أيها الأخوة.

موس كا أيها العزيـز بـن عـازن، أما لـديك مـن جديـد عـن نوايـا الملك؟

بـن عـازن علمتُ أنه استدعى كبير كهنه طيبة "نفر كا بتاح".

موس كا وماذا وراءه؟!

بـن عـازن على ما يبدو، الملك عـازم على زيـارة المعبد فـي "هـابو" والاعتكاف يومين للصلاة مـن أجل الملكة آسيا الأم حتى تستقر أحوال البلاد.

موس كا وهل يشعر الملك بشيء ما نحونا؟

بـن عـازن كـل مـا أعلمـه أنـه متضـايق جـدًا مـن نهـب قافلـة الأخشـاب الـتي قـدمت مـن الشـرق مـؤخرًا، كمـا أن غارات المشوش في الغرب بدأت تزعجه كثيرًا.

هــــــارا وهل ينوي القيام بشيء؟

بـن عـازن لا أعرف شيئًا بخصوص هذا الأمر حتى الآن.

موس كا كـن يقظًـا يـابن عـازن وخصوصًـا فـي هـذه الأيـام، فمستقبل شعبنا رهن بيقظة رجال من أمثالك.

كـــــارا لكن، ألا يمكن النظر ثانية في مسألة الخروج هذه

أيها المبارك موس كا.

شـــفراته وخصوصًا أن الملكة الأم آسيا تحتضر وربما تموت من الحسرة على فراقك!!

موس كا "متجاهلاً شفراته" ماذا تقصد يا كارا؟!

كــــارا منذ عودتك من الشرق وأنت عازم على هذا الأمر الذي لم نناقشه من قبل، ونحن هنا منذ أكثر من أربعمائة عام.

موس كا اسمع يا كارا، أنا أعلم نواياك جيدًا وأقرأ سرّك بخصوص شعبنا وشعب مصر، ولك ما تختار.

هــــارا كيف ذلك؟! لا يعقل أن يفضّل كارا المصريين على شعبنا وهو في الأصل واحد منا!!

موس كا إن للأصدقاء والأعوان منزلة خاصة عندنا، حتى وإن كانوا من شعوب الأعداء، فكيف وهو واحد منا يا هارا؟ دعه يقرر ما يشاء.

كــــارا أليس أبناء الشعب جميعًا أمة واحدة؟!

بـن عـازن هذا ما يقوله موس كا، أما الملك مارين فله رأي آخر.

كــــارا وما هو؟

بـن عـازن إنه ينوي مطاردة الشاسو وإجلاءهم عن أطراف مصر الشرقية وتطهير البلاد من كل أعوانهم بعدما يفرغ من القضاء على المشوش في الغرب، إلا إن موقفه مختلف مع عشيرة يائيل على وجه التحديد ولا أعلم سببا لذلك.

موس كا إننا ومنذ وفدنا عليهم للإقامة بينهم في زمن أبينا مصارع الرب ونحن قريبون منهم في المعابد والقصور

الملكية ومدن الغلال والجنود، وهذا ما لم يحظ به أي من عشائر الشاسو الآخرين.

كـــــــارا حتى أنا؟!

موس كا حتى أنت يا كارا.. إنك تنظم جباية الضرائب على امتداد المملكة وتُؤمّن تدفق الذهب والفضة والغلال على خزائن الملك طوال السنة وهذا عمل جدّ خطير إلا إنه بعيد عن الأسرار.

كـــــــارا الأسرار.. أية أسرار أيها المبارك موس كا؟!

موس كا نحن الشاسو من أبناء مُصارع الرب عرفنا كل شيء عن أسرارهم وأسرار العالم التي ظلوا يعملون من أجلها عبر آلاف السنين ويحتفظون بها في قدس أقداسهم.. ها نحن قد اطّلعنا عليها وإذا خرجنا بها صرنا خطرًا عليهم، ولذا فلن يتركونا نهرب بسلام، سيسعون في أثرنا ويمنعون هروبنا بكل السّبل.

شـــــفراته وهل اكتملت عدتنا للفرار؟

موس كا مازالت تلزمنا بعض الأشياء من بر مصر، وبعضها من أبناء عمومتنا الشاسو، هنا أو في الشرق أو في برية سينا وما جاورها في طريقنا للهروب.

"يقطع ذلك الحديث صوت خطوات لاهثة غير منتظمة وصوت متقطع مبحوح لأحد الخدم الذي اقتحم المكان دونما استئذان"

الخـــــادم أنقذنا يا سيدي كارا.. أنقذنا.

كـــــــارا ماذا هناك؟ "وقد أمسك بيده" اهدأ حتى نفهم الأمر.

الخـــــادم رجال الدرك في برعا أمسكوا كهّات.. وأخذوه إلى

القصر.

"يضع موس كا وهارا وبن عازن أقنعتهم على وجوههم ويأخذون في المغادرة"

موس كا لا أحد منكما "مشيرًا إلى كارا وبن عازن" يتصل بنا في الأيام المقبلة.

ينصرفون مع صعود ترنيمة الغرباء

نحن أهل المدرْ
نابذين إلى الحضر
سعيُنا في خصامٍ
إن يلق ودًا لا يذر
شرعُنا وحيُ الخلا
خطَّ أقدار البشر.

من سغبٍ وفيافٍ جئنا
وسنحيا في حقل أبينا
لا أحدٌ في الناس سيمنعنا
أن ننشئ وطنًا أو دينا
هل يهنأ أحدٌ بحياةٍ
إن فقد الأب مساعينا؟

الطلعة الرابعة

رقصة للجوقة الملكية "باعثات السرور في بزعما" في حضور المجلس الملكي، في الخلف تجلس الملكة حاتيس بجوار الملك مارين، عن يسارهما وفي مستوى أقل يجلس كارا جابي الضرائب وين عازن حامل الكؤوس الملكية، أمامهما وفي نفس المستوى عن يمين الملك يجلس الوزير آمون نخت وكبير الكهنة نفر كا بتاح حليق الرأس تمامًا وثوبه بلا أية آثار للزينة.. تتواصل الرقصة على موسيقى ترنيمة النيل.. عقب انتهاء الترنيمة وانسحاب الجوقة الملكية ينهض كبير الكهنة نفر كا بتاح ويتقدم المجلس يتبعه الوزير آمون نخت متأخرًا خطوتين عنه ثم يركع كبير الكهنة رافعًا يديه ويبدأ في الصلاة، بينما يردد آمون نخت وراءه نفس الصلاة.

نفر كا بتاح أيا والدي آتوم العظيم، يا من بعثت حابي في أرضك الزاهرة، وألهمت ملوكها الشجاعة والحكمة في كل المواقف أمام أعين كل الأمم من قادش ورتنو وميتان في الشرق حتى أكشوم في أقاصي الجنوب، أيا آتوم العظيم، يا من علمتنا أن القضاة الذين يحاسبون التعساء في العالم الآخر لا تعرف قلوبهم الرحمة في ذلك المشهد الرهيب، يوم تحاكم الأشقياء، وتُلقي بالمصائر من فوق منصة العدالة. أيا والدي، يا من علمتنا ألا نضع ثقتنا في الزمن الطويل الذي يمر لأن حياتنا ليست أكثر من ساعة بعدها يصل المرء إلى شاطئ الموت

وهو ينظر أفعاله مرصوصة بجواره كأكوام الحجارة في خلود الأبدية.. يا حافظ الحقيقة والصدق مثلما وهبت ابنك قوة تصرع الضواري في الغابات امنحه قلبًا ذكيًا حكيمًا يلتقط الأمور اللطيفة، وسر أمامه في كل ما يخطو، ضع الحكمة في فمه على الدوام، إنه ابنك الساهر اليقظ على كيميت في كل الأوقات آمين.. آمين.

" يستدير كبير الكهنة وينحني أمام مجلس الملك رافعًا يديه وكذلك الوزير آمون نخت حتى يشير الملك لهما بالجلوس، وينهض بن عازن حامل الكؤوس الملكية ويأخذ في سقاية الملك والملكة."

مارين تعلمون لماذا دعوتكم اليوم إلى هذا المجلس؟

"مشيرًا إلى بن عازن" قدّم الجعة للوزير وكبير الكهنة يا بن عازن.

الوزير آمون نخت لابد أن الأمر يتعلق بمطاردة جحافل الشاسو المتجمعين ناحية الشرق في أواريس يا سيدي.

مارين ليس بالضبط... ألا تستطيع التخمين يا بن عازن؟!

بن عازن قلبي فداك أيها الملك.. يبدو أن الأمر له علاقة بعشيرة يائيل.. هؤلاء الشاسو الذين طالت إقامتهم في بر مصر.

مارين ألستَ واحدًا منهم يا بن عازن؟ فلم لا يشبهونك؟!

بن عازن ماذا تقصد أيها العظيم؟

حاتيس لماذا يرغبون في الرحيل عن مصر بينما – وأنت

واحد منهم - تعمل لدينا بكل طيبة وإخلاص ولا تفكر في الهرب.

بن عازن: لقد صرتُ واحدًا منكم بعد كل هذه السنوات منذ أتى أجدادي إلى مصر، ولستُ وحدي في هذا الأمر، فهناك كارا جابي الضرائب وآخرون.

حاتيس: وماذا عن موس كا!؟

"يصمت الجميع وينظر بعضهم إلى بعض، ولا يقطع هذا الصمت المفاجىء سوى كبير الكهنة نفر كا بتاح"

نفر كا بتاح: إنه أصل النازلة وأس البلاء وسبب تكدير روح مليكنا العظيم راعي ملكوت آتوم القاهر.

مارين: ليس البلاء في تكدير روحي فقط، إنما تهديد روح الشعب والمملكة.

بن عازن: أيأذن لي سيدي أن أسأل عن سر إصراره على إبقاء نسل يائيل في مصر دون بقية عشائر الشاسو الآخرين؟

مارين: إنه أمر لا يحتاج إلى عميق تفكير، فهم ومنذ مجيئهم إلينا منذ أيام العظيم سنو وهم مقربون من شؤون الحكم والإدارة وحتى شؤون الكهنة والمعابد وقد ظلوا هكذا طوال الأعوام، حتى إن العظيم أحمو طرد كل أمراء الشاسو إلا أمير شعب يائيل وعشيرته فقد أبقى عليهم.

حاتيس: كان ينبغي الحذر منهم وإبعادهم عن مقادير الشعب والمملكة منذ البداية.

مارين: "وقد نهض من مكانه لأول مرة" ليس صحيحًا ما تقولين سيدتي المصونة، إن بإمكان أي إنسان أن

يصير مصريًا إذا أحب كيميت وحابي وأخلص لهما أكثر من حبه لذهبه وفضته، إن بإمكان الغريب أن يرتقي في هذه الأرض حتى سُدة الملك، فهذا الشعب الذي يحمل هذه المملكة ويحفظ كل هذه الوصايا منذ عهد أوزير ورع وآمون وكل الآلهة المقدسين، هذا الشعب نفسه هو مزيج من كل المخلصين في كل شعوب الأرض، إنه منتخب روح البشرية يا مليكتي.

نفر كا بتاح وضع الإله الحكمة في فمك على الدوام أيها الملك الملهم.

بـــن عـــازن "مقاطعًا ومستسمحًا كبير الكهنة"

إلا نسل يائيل فمازالوا يعيشون في ملكوت حابي كغرباء، يتمسكون بعاداتهم وتعاليم آلهتهم التي جاءوا بها معهم من تخوم القحط والجوع والغضب.

آمــون نخـت لقد انضم إلى شعبنا أجناس شتى من قديم الزمان وصاروا مثلنا تمامًا، لا يمكنك تمييزهم من وسط الشعب ومن يرفض الاختلاط في هذا الشعب فإننا نرفضه ونطرده عنا مهما طالت إقامته في أرض حابي وتوطدت أركانه وقويت شوكته.

حـــــاتيس معذرة أيها العظيم، حتى الآن أنا لا أفهم إصراركم على الاحتفاظ بهؤلاء الشاسو!!

مـــــارين أيقظ آمون بصيرة مليكتي، أنا لا أتمسك بأحد من الشاسو، بل إن القائد جحوتي بدأ الاستعداد لمطاردتهم، إنما لن أسمح لرؤساء بيوتهم بالرحيل عن المملكة.

حـــاتيس تقصد موس كا وهارا وكارا.

مـــارين كل الزعماء والرؤساء الذين نصَبهم موس كا على شعب الشاسو منذ رجوعه من أرض الداشرت.

نفر كا بتاح وخصوصًا بعدما صار هؤلاء البدو أكثر خضوعًا لموس كا وتعاليمه الجديدة التي عاد بها من عند حميه يصّار كاهن الشعب في أرض مَدْيَة.

آمـون نخـت أليس هذا موس كا الذي قتل شخصًا من رعيتنا وهرب أيام راموس العظيم!؟

نفر كا بتاح بلى إنه هو.

آمـون نخـت ولم لا يأمر مليكنا بقتله وفاءً لدم المقتول؟

مـــارين هذا ليس من روح بتاح أو ماعت، لقد وقع القتل منذ أكثر من أربعين سنة كما أنه لا يجوز قتله بعد كل هذه السنوات وليس هناك مُطالب بدمه من أهل المقتول!!

نفر كا بتاح إنما تجوز أمورٌ أخرى!!

آمـون نخـت مثل ماذا!؟

نفر كا بتاح لو سمح عظيمنا مارين، يمكننا تجريسه، أو توبيخه ونصحه أمام رؤوس جميع الشعب.

حـــاتيس حتى يصير حقيرًا في عيون عشيرته ويرتدع الآخرون عن التفكير في تحريض عشائرهم.

مـــارين ولا حتى هذا، إنه أمر لا أوافق عليه، فموس كا لم يعد صغيرًا، فهو الآن شيخ قد جاوز الخمسين ولايجوز احتقاره أمام شعبي من أتباع آمون رع الذي لا يقر شريعة الانتقام كما أن عملاً مثل هذا

سيُغضب الملكة الأم.

آمــون نخــت　إذا فماذا يرى عظيمنا الملك؟

مـــــــارين　"محـدقًا فـي كـبير الكهنـة" بلغـني ضـياع بعـض البرديـات مـن كتـاب تحـوت المحفـوظ لـديكم فـي المدينة المقدسة.

نفر كا بتاح　"مندهشًا وقد ذهل جميع الحاضرين وخصوصًا بن عـازن الـذي توقـف عـن متابعـة السـقاية وأرهـف الصمت والإنصات"

هـذا غـير معقـول.. ومـن يجـرؤ علـى إخراجهـا مـن المدينة المقدسة!!؟

آمــون نخــت　فعلاً كما قال الملك لقد سُرقت بعض البرديات مـن كتاب تحوت.

مـــــــارين　"وقد تغيرت نبرته"

إن أسـرار الآلـهـة ينبغـي أن تحظـى بعنايـة أفضـل، ألـيس كـذلك أيهـا الكـاهن!؟ إننـا لم نبخـل بشـيء عليكم فأنتم الوحيدون مـن رعيتنـا الـذين لهـم حـق التملك والتصرف فـي أرض حابي.

آمــون نخــت　لو وافق مليكنا العظيم على اقتراحنا ووضع حماية المدينة المقدسة في أيدينا ما حدث هذا.

مـــــــارين　العسكر لا يحرسون الآلهة أيها الوزير آمون نخت وإذا لم يكـن الكهنـة أحـرص النـاس علـى ذلـك فـلا خـير في الحياة.. عليك أن تفهم ذلك جيدًا أيها الوزير.

نفر كا بتاح　بوركــت ســيدي الملــك "مرتبكــا" أيمكــنني الانصراف لتدبر الأمر.

مـــــــارين لقد تدبرنا كل شيء إلا أمر موس كا.

بـــن عـــازن وهل لموس كا وجماعته علاقة بسرقة تحوت؟

آمـــون نخــت هذا ما سنعرفه الآن، إذا أذن ملكنا العظيم راعي الصدق في ملكوت رع.

حــــــاتيس فليأذن له سيدي الملك.

مـــــــارين لك ما تريد أيها الوزير آمون نخت.

آمـــون نخــت "منصرفًا تجاه الباب ثم ينادي على كبير الحرس" إلينـا بالمدعو كهّـات بـن عارمـا "ثـم يعـود وبعـد لحظات يدخل كبير الحرس ساحبًا كهّات.. يؤدي كبير الحـرس التحيـة ثـم ينصـرف تاركـًا كهّـات الـذي يسـجد مُقبلاً الأرض تحت أقدام الملك ومادًا يديه إلى أعلى ".

كهّـــــــات العفـو يـا سـيد الأرضـين.. العفـو يـا سـيد الشـعوب جميعًا...

آمـــون نخــت كفى أيها الشرير كهّات، لقد افتضح أمـرك أنت وأعوانك.

كهّـــــــات عبدك الضعيف يا مولاي ليس بيده من الأمر شـيء، لقد أرغموني على ذلك ولم أكن أعلم أن مـا أقوم به أمر خطير.

آمـــون نخــت عمـن تتحـدث؟ قل أمـام الملك وكبير الكهنـة.. قل من هؤلاء الذين أرغموك.

كهّـــــــات أطال الإله عمرك يا سيدي.. إنهم موس كا وكـارا وهـارا، وقـد مضـى وقـت ونحـن نلتقـي فـي بيـت الكبير كارا جابي الضرائب في المملكة.

حـــــاتيس إنها مؤامرة إذن؟

نفر كا بتاح الرحمة يا إلهي، فلتغفر لنا يا إله البيت الكبير ولتصفح عن خُدّامك في المدينة المقدسة وفي منف وطيبة. "ويبكي"

مـــــارين وهل قمت بشيء آخر غير سرقة البرديات من مدينة الآلهة؟

كهّـــــات أبدًا.. أبدًا ورب حابي!!

نفر كا بتاح لا تنطق برب حابي حتى لا تدنس روحه أيها اللص.

مـــــارين "مخاطبًا بن عازن"

هؤلاء أبناء عمومتك يا بن عازن أرأيت كيف تسري الخيانة والغدر في دمائهم!؟

بـــن عـــازن حاشاك يا مولاي، إنهم يستحقون أقسى العذاب.

مـــــارين وعلى الرغم من ذلك فقد سمحنا لهم بالأمس في الذهاب إلى البرية لقضاء عيدهم والصلاة لربهم.

"يدخل كبير الحرس مسرعًا لاهثًا، بعد الاستئذان يؤذن له ويقترب من أذن الملك ويُسرّ له بأمر ما"

مـــــارين "وقد تغيّرت ملامحه وقام من مجلسه في انفعال شديد مخاطبًا كبير الحرس"

دعه يدخل.

" ينصرف كبير الحرس ثم يدخل حامل الرسائل الملكية وبيده بردية "

حامل الرسائل "بعد التحية.. يسجد أمامه يُقبل الأرض تحت قدميه رافعًا يديه "

هذه رسالة من قائدك جحوتي سيدي الملك.

مـــــــــارين هاتها.

"يأخذها ثم يفضّها ويأخذ في قراءتها ثم يخاطب كهّات"

يا لتعاسة الأقدار، لقد هرب صحبك أيها اللص كهّات.. اسمع أيها الوزير آمون نخت، اكتب للقائد جحوتي أن يسعى وراءهم ويطاردهم حتى تخوم مدية وبرية سينا، قل له ألا يهدأ في أثرهم حتى يأتيني بهم، أمّا رجلنا الخائن كارا فابحث عنه وصادر أمواله وكل ما يملك ثم اخسف بداره الأرض حتى لا يكون له أثر بين رعيتنا في أرض حابي ثم ألقه في الحبس مع هذا اللص حتى أنظر في أمرهما.

"في هذه الأثناء تعلو أصوات العويل والنواح التي بدأت تظهر بشكل خافت منذ دخول حامل الرسائل.. تأخذ الأصوات في العلو والازدياد فيصمت الجميع وينهض الملك..

ما الخبر؟

" ينظر حوله وبعد لحظات يدخل كبير الحرس".

كبير الحرس بارك آتوم سنوات سيدي مارين.. سيدة الأمومة الملكة الأم يا سيدي

مـــــــــارين ماذا بها؟!

كبير الحرس سكنت روحها البر الغربي أيها الملك.

" وتبدأ ترنيمة النيل في الظهور "

غسلوني بماء النيل

وكفنوني في شفيف كتانه

فذا نعيم في ربوعْ جنانه

وذا خلود في دين سكانه

جلّ الذي أصفاك يا حابي

حكيمًا تجلّى في الورى شانه

كريمٌ ما في الندى مثله

حمولٌ زاهدٌ فيما لدينا

أمينٌ يرعى خطانا

إن ذهبنا أو أتينا

عهودك يا نيلُ دَيْن

إن رضينا أو أبينا

طهروا كفني بماء النيل

وزملوني في رحابه

يا ما تضيق بخطوتي الدنيا

وما أوصد في القلب بابه

طهروا قلبي بماء النيل

وشيعوني في ركابه

الطلعة الخامسة

خليط من الدهماء والسوقة في باحة حانة رخيصة، الضوء ضعيفٌ داخلها، حاوٍ وبهلوان يستعرضان فنونهما على أنغام موسيقى وترية تنبعث في أرجاءِ المكان، بين فترة وأخرى يظهر الساقي من غرفة داخلية حاملاً الأقداح الممتلئة بالجعة، يقدمها للرواد ثم يأخذ الفارغة منها ويعود بها للداخل، وهكذا تتواصل الألعاب السحرية والبهلوانية حتى يتقدم أحد السكارى ويأخذ في الكلام بعد أن يزيح الساحر والبهلوان وينحيهما جانبًا بعصبية.

سكير ١ أما آن أن يرحموا آمون من مصائب هؤلاء الشاسو!؟

"متوجها إلى السكارى"

وأنتم.. متى تنقضّون عليهم؟

سكير ٢ " الذي ينهض من على مصطبة كان يجاوره عليها مجموعة من أصدقائه "

يا أخانا.. عليه العوض في كل ما راح منا.

سكير ١ وهل سرقوك أنت الآخر؟

سكير ٢ لم يتركوا أحدًا من معارفي حتى أتوا على ثيابه الجديدة وجواهر نسائه أيضًا.

سكير ١ لا أعلم ما شريعة رب هؤلاء، هذا الذي يعبدونه بقرابين مسروقة في جوف الصحراء!!

سكير ٣ " وقد نهض منفعلاً "

وأنا المغفل أعطيت أحدهم فحل القطيع، أقنعني أنه لن يمسه وسوف يعيده إليّ بعد ستة أيام لا أكثر.

"مستغرقًا في الضحك الماجن"

والأدهى أني أعطيته علفًا لإطعام الثور في هذه الرحلة المقدسة.

سكير ٢ عندي أمل أنهم سيعودون وتعود إليّ أشيائي بعد انتهاء عيدهم في الصحراء.

سكير ١ أمل!! أمل ست في عفو ماعت! يبدو أنك مسطولٌ أيها الأخ المغفل.

" ينهض سكير رابع تبدو عليه علامات التقدم في السن، كما يبدو أكثر تماسكًا من الآخرين يحيط به بعض السكارى "

سكير ٤ اسمعوني أيها الأخوة " يزيح بعض الواقفين من السكارى ثم يواصل "

منذ أمس.. وقبله بأمس فكرت كثيرًا في الانتقال إلى الغرب حيث رحمة التاسوع وغفرانه الواسع بعدما تكدرت الحياة هنا، ولم أعد أجد من أتحدث معه وقد استبدت رغبة التملك بجميع القلوب، فكل واحد يطمع في أملاك جاره ويحاول انتزاعها بكل السّبل ولا مكان للمسالمين أمثالي، حيث يسحق الأقوياء والأنذال كل الرؤوس، فمع من أتحدث اليوم؟ والشّر في طريقه للانتصار وها هو الخير أصبح غريبًا منفيًا، فيا أيها الموت إنني أحنّ إليك مثلما يحنّ المحبوس إلى أهله بعد طول الغياب في

الأسر اللعين.

" يعود السكارى ويحاوطونه "

سكير ١ " مدّعيًا الوقار "

هل تفكر في الخلاص من الحياة يا سيدي؟

سكير ٤ ماذا ترى؟!

سكير ١ أراك تتعجل الموت، تتغزّل فيه، وتترنم إلى حضرته.

سكير ٤ وهل ترى من فائدة في الاستمرار هنا؟!

سكير ٢ تريد نصيحتي؟

سكير ٤ نعم.

سكير ٢ إذا أردت الخلاص فعليك أن تزيد الجرعة حبتين من هنا " يشير إلى قدح الجعة الذي في يده "

سكير ٤ لا أريد الخروج إلى ماعت وأنا غارق في السُكر على الأقل سأنتظر حتى أفيق.

سكير ٣ وربـ حابي لا تروق الصحبة مع أمثال هؤلاء.

" مشيرًا إلى سكير ٤ ثم يخاطب أصدقاءه "

خلّوه عنكم وكفانا ما نحن فيه من مصائب الشاسو.

سكير ١ أتظن يا صديقي أن العظيم مارين سيقضي عليهم ويرد إلينا ما سرقوه منا.

سكير ٢ ادعوا معي، صلوا إلى آتوم كبير العظماء في الأرض والسماء أن يلحق بهم مارين، حتى وإن لم يجد معهم متاعنا المسروق.

" وفي هذه الحالة تدخل شِفراته إلى الحانة بصحبة

أحد أصدقائها بن لاميم "

شـــفراته   " في صوت واحد " طابت ليلتكم يا أبناء حابي.

وبن لاميم   "ينسحب سكير٤ ، يتراجع حتى مقعده على المصطبة"

سكير ٣، ٢، ١   " في صوت شبه جماعي من الحانه "

طاب مساؤك يا زانية الشاسو.

ســكير ١   لماذا أنتِ هنا؟ ألم يرحل أخوتك لملاقاة ربكم في الصحراء؟

بــن لامــيم   عمن تتحدث أيها العربيد الماجن!؟

ســكير ٢   عن طفل حابي موس كا وأتباعه، أتراك تجهل الأمر!؟

بــن لامــيم   ومن قال لك إنهم رحلوا؟ سيقضون أيام العيد أمام الرب في الخلاء ثم يعودون بعد أيام قلائل؟

سكير٢، ١   "في صوت واحد" أما قلت لكم.. عندي إحساس أن أموالي ستعود!!

ســكير ١   أية أموال أيها المغفلون!؟ لقد هربوا وذهبت أموالكم، فجيوش القائد جحوتي تطاردهم في الخلاء.

بــن لامــيم   " مقتربًا من سكير ١ ومتفرسًا في ملامحه"

ألست أنت الفتى "أتريما" الذي يعمل عند شيخ الكتبة!؟ أما يحسن بك أن تلزم شيخك وتكف عن المجون؟

ســكير ١   " في غاية السخرية والمرح "

مرة أخرى سيذكرنا بالكتبة حتى ونحن في الحانة!!

ســكير ٢   شيخ الكتبة.. يااااه!!

"وقد تغيّرت نبرة صوته ودخل في حالة تقمص لصوت وحركات شيخ الكتبة" سمعت أنك تهمل دروسك أيها الفتى وتكرس نفسك تمامًا للملذات فتتنقل من طريق إلى طريق، تفوح منك رائحة الجعة، وقد صار قلبك مثل فلوكة تسيرُ في النيل بدفّة مكسورة، ووجدوك تقوم بالألعاب البهلوانية فوق الحائط.

سكير ٣ " مكملاً التقمص " ويهرب الناس أمامك كأنك الجُزام أو الطاعون.. آه لو أقلعتَ عن الخمر الملعونة وفكرت في شيء آخر غير أقداح الجعة " في هذه اللحظة يلتقط قدحًا من الساقي الذي يروح ويجيء في بهو الحانة " ولكن ها أنت تتعلم اللهو على أوتار القيثار وتعيش في بيت غريب لاهيًا مع جماعة سيئة من الفتيات...

سكير ١ " يلتقط التقمص من سكير ٣ " انظر إلى نفسك مترنحًا بجانب فتاة، مفعمًا بالعطور وحول رقبتك طوق من الأزهار الفاقعة وأنت تطبل فوق بطنك وتتدحرج على الأرض مكسوًا بالقاذورات.

" في هذه اللحظة يسقط ثلاثتهم ويتدحرجون على أرضية الحانة وهم في غاية النشوة بينما بن لاميم وشفراته قد تسمّرا مكانهما يراقبان تقمص السكارى لدور شيخ الكتبة "

بن لاميم هل تعرفينهم من قبل؟

شفراته مثل هؤلاء هم مصدر حياة لزانية الشاسو وسبب رزقها فلا عيش لي بدونهم.

بن لاميم " مبتسما " تفهمين عملك جيدًا.

" ساقي الحانة يقدم لهما قدحين من الجعة مشيرًا إلى سكير ٤ الذي مازال جالسًا على المصطبة ثم يلوّح لهما بالتحية ويردان عليه بالتلويح، يتدخل سكير ١ مفاجئًا بن لاميم وشفراته ".

سكير ١ من هذا أيتها الزانية؟ " مشيرًا إلى بن لاميم " صيدٌ جديد!؟

سكير ٢ تبدو عليه تلك السحنة، إنه ابن عمها، رجل من الشاسو.

سكير ٣ ماذا تفعل هنا وكل أفراد شعبك يعيّدون في الصحراء يا رجل!؟

شفراته دعوا الرجل في حاله ولا تجعلوه يهرب من أول لقاء " تضحك بمجون "

بن لاميم وأنتم أيها الرجال!؟ لماذا تخلفتم عن حملة القائد جحوتي؟

سكير ١ لسنا من المحاربين، إننا الآن مجرد كلافين في الحظائر الملكية منذ طردنا شيخ الكتبة.

بن لاميم " يبدي اهتمامًا وإنصاتًا كبيرين " في منف؟

سكير ١ نعم في حظائر العظيم مارين خليفة الإله جب في أرض حابي، بورك في عمره السعيد.

بن لاميم " مشيرًا إلى ثلاثتهم " كلكم؟

سكير ٣ " مندهشًا " نعم.. وهل تريد العمل معنا!؟

سكير ١ اطمئن.. لم يعد مسموحًا، فالوزير آمون نخت منع تشغيل الشاسو أمثالكم في شؤون البلاد منذ اكتشفوا خيانة كهّات بن عارما.. هل تعرفه؟

شـــــفراته " وقد ارتبك بن لاميم وبدا عليه التوتر "

طبعًا.. جميع الشاسو على أرض حابي يعرفون بعضهم جيدًا ، لكن هل تعرفون شيئًا عن مصير كهّات؟

ســـكير ٤ "ينهض باتجاهم وقد أقلع عن الشراب منذ فترة"

قلت لكم إن الغدر أصبح في دماء الناس، وكل منهم يريد أن يأخذ مكان أخيه ولم يعد أحدٌ يأمن جاره في هذا الزمان، لم يعد في البشر من تصادقه.

شـــــفراته "وقد غمزته بنظرة إغراء"

إننا نتحدث عن كهّات بن عارما وليس عن غدر الناس والرغبة في الموت.

ســـكير ١ كهّات.. يبدو أنه رجل محظوظ، فمازال حيًا ومحاكمته لم تبدأ بعد، وقد يبرئه رئيس القضاة، هكذا يقول زملاؤنا في الحظائر الملكية.

ســـكير ٢ يقولون إنه لم يكن يعلم ماذا يحمل من برديات وهو يتنقل بين كهنة المدينة المقدسة وبيت كارا.

بـن لامـيم حقًا يا أصدقاء.. لا يُهان مظلومٌ في بر حابي.

ســـكير ٣ أتعرفون!؟ إن كارا هذا كان رجلاً بارًا في غاية الوفاء والاحترام.

ســـكير ٢ طبعًا.. فقد أصرّ على البقاء ورفض الهروب مع موس كا وهارا ولذا سنظل نذكره كواحد منا.

بـن لامـيم "متهكما" تتساه.. تذكره، فلن يفلت من غضب الملك وسخطه وخصوصًا إذا أفلت موس كا ورجاله.

شـــــفراته " وقد غمزتْ بن لاميم بغيظٍ في جنبه "

طبعًا.. طبعًا إن كارا كان يحب حابي أكثر من

أبناء عشيرته.

" فـي هـذه الأثنـاء ينـدفع سـكير آخـر صـوب محيـط شفراته وبن لاميم صائحًا "

سكير آخر كفى همسًا لقد مللنا " ثم يصيح على النادل " أين الساحر والبهلوان؟ نريد بعضًا من الترفيه.

" يندفع الساحر بصحبة البهلوان الذي صار مساعدًا للساحر وكل منهما يحمل عصا في يده ويخلي الجميع الباحة لهما "

الســـاحر انتبهوا أيها الأصدقاء السكارى.. هذه تعليمة جديدة "يرفع يده بالعصا" ما هذه؟

السكارى إنها عصا.

الســـاحر هل أنتم متأكدون!؟ فليأت أحدكم ويفحصها.

" يتقدم سكير ويتناول العصا من الساحر وكذلك من مساعده ثم يخبط إحداهما بالأخرى فيُسمع صوت قوي، وكذلك يتفحص كل عصا على انفراد ويجربها على بعض أصدقائه.

ســكير ١ أرأيتم.. إنها عصا.. وتؤلم أيضًا " مخاطبًا من ضربهم بها " أليس كذلك!؟

الســكارى نعم.. نعم إنها عصا.

الســـاحر هاتهما.

" يأخذهما من سكير ١ ويعطي لمساعده عصاه ثم يأمره "

ألقها على أرض الحانه.

" يلقيها مساعده.. ثم يهمهم بكلام غير مفهوم

فتتحرك العصا على أرض الحانة مثل قطة وتصدر مواءً كالقطط "

السكارى " في صوت واحد متعجبين " هذا شيء بديع، لم نر مثله على الإطلاق.

الساحر انتظروا " يلقى العصا من يده فتتحول بعد همهمات غير مفهومة إلى جروٍ يطلق أصواتا كأصوات الكلاب الصغيرة ثم يأخذ الجرو في مطاردة القطة "

السكارى " وقد توقفت الحركة في الحانة وأصبحت بالكامل في غاية الاهتمام بما يفعله الساحر ومساعده "

يااااه يااااه.. لم نر مثل هذا من قبل أبدًا.

" في هذه الأثناء تداهم مجموعة من رجال الدرك الملكي باحة الحانة وتبدأ في القبض على من فيها وتجذبهم للخارج.. في حين يبدو بن لاميم وشفراته وهما ينسلان بهدوء وخفاء خارج الحانة مع دخول رجال الدرك.

رئيس الدرك ويْحكم أيها الأنجاس، جنود الملك تحارب في الشرق وأنتم هنا في ضيافة الخمر والسحرة!؟ يا لكم من ملاعين أنجاس!!

سكير العفو يا بن الكرام.

رئيس الدرك سنعرف كيف نؤدبكم أيها الأوباش!!

" يأخذون في المغادرة ويسود الظلام تدريجيًا مع صعود ترنيمة النيل رويدًا رويدًا ".

الطلعة السادسة

"بهو الأعمدة في معبد طيبة، الرائي حَمّونثّر كبير خدام الآلهة يصلي.. حليق الرأس تمامًا، يرتدي ثيابًا كتانية لا أثرللزينة بها ".

حَمّونثّر في الأصل كان تحوت، منه ظهرت الحركة وتنفست الأحياء خارجة من الكتمان إلى ملكوت الشهادة بعد السكون السرمدي، في الأصل كان تحوت، منه ظهرت الإشارة ودخل الإنسان في روح الوجود. أيا نُون، يا واهب الليونة لكل جسم جامدٍ تيبّس، يا نون، لا تتخل عن أبنائك المساكين، لا تهجر مزارعنا على ضفاف حابي فتصير صحراءً تبعث السأم والجنون، يا آتوم، أيها الكبير بلا منازع، يا من تفردّتَ بالعلو والرهافة والحكمة، يا آتوم أرسل جنودك "شو و نوت و تفنوت".. أرسلهم إلى برٌ كيميت بلا توقف حتى تنعم جبْ بالسكينة والرخاء إلى الأبد. أنا حَمّونثّر كبيرُ خُدّام الإله أشعر بالكآبة والضياع لأنني غفلت عن أسرار الآلهة في برٌ حابي، أنا حَمّونثّر، ستنظر إليّ الأجيال المقبلة في مصر على أنني أهملت إلى حدّ الخيانة، أهملت حتى اندس الغرباء في مسوح الكهنة يزيفون أسرار الآلهة ويحرفونها في طيبة ومنف والمدينة المقدسة، أنا حَمّونثّر لن أستعيد سلامي إلى الأبد وسأظل حزينًا منفيًا عن الراحة والأمان، ما أتعس بني

الإنسان إذا تمكّن الغرباء الشاسو من الأسرار الإلهية، إنه عمل قبيح وفعلٌ شنيع أن يصبح مثل هؤلاء كهنة في محاريب الآلهة يعلّمون بني البشر شعائر الأرباب وتعاليم الآلهة، ما أتعسني أنا حَمّونَثْر!! وليت أمي ما غاض رحمها بي، ليتني ما جئت إلى هذه الحياة.

"يدخل وَعْبو كبير الكهنة المطهرين بينما يتابع حَمّونَثْر صلاته، فيبقى وَعْبو ساكنًا تمامًا"

يا آتوم، يا خالق الظلمة والنور، يا فالق جبْ عن الحبّ والنماء، يا باعث الحياة في الأرحام وفي الصخور القاسية، يا آتوم.. أرفق بالناس في برِ حابي، وهيئ ملوكهم لكل خير، أمدد قلوبهم بالزكاوة، ضع عنها الغشاوة واجعل الحكمة في أفواههم أبد الدهور.

"يلتفتْ صوب وَعْبو الذي ظل ساكنًا"

حَمّونَثْر ماذا وراءك يا كبير المطهرين!؟

وَعْبو " وقد أثر البكاء على نبرات صوته "

نعمتْ روحك في كل الديار يا سيد روحي.

حَمّونَثْر وروحك أيها المخلص وَعْبو... ماذا وراءك؟

وَعْبو لقد وصلوا يا سيدي.

حَمّونَثْر عمن تتحدث يا وَعْبو!؟

وَعْبو حراس المعابد في كل أرجاء البلاد يا سيدي.

حَمّونَثْر ومن الذي أرسل في طلبهم!؟

وَعْبــــو " وقد استبدت به نوبة البكاء "
سيدي نفر كا بتاح كبير كهنة آمون.

حَمّونثـر على مهلك أيها المُطهّر.

وَعْبــــو ضاع كل شيء يا سيدي.. وقد أرسل كبير الكهنة يطلب كل الحراس والكهنة في معابد البلاد حتى يكونوا في استقبال الملك.

حَمّونثـر لا أظن الأمر كذلك.. فالملك مازال يطارد الشاسو في الشرق.. أليس كذلك!؟

وَعْبــــو يقولون إنه في الطريق إلى طيبة.. سيجتمع بالكهنة والوزراء والقادة هنا في المعبد الكبير.

حَمّونثـر إذن استدع جميع العمال وأعدوا المعبد لاستقبالهم يا وَعْبو.

" ينصرف وَعْبو و يعاود حَمّونثر صلواته من جديد "

لقد سرقوا كل شيء يا أبي.. هؤلاء الشاسو الملاعين، سرقوا هيكل الأقداس من معابد طيبة في الكرنك وهابو وحتى من منف والمدينة المقدسة، سرقوا تعاليم أمينوبي الحكيم، ونشيد إخناتون ووصايا آمون، بل إنهم سرقوا كتاب تحوت أيضًا، فالويل لأبنائك يا آتوم العظيم، الويل لهم إن لم ترشدهم إلى الخلاص من هؤلاء الشاسو الذين تكفّل الملعون " ست " برعايتهم من عصرٍ إلى عصر وهو يمدهم بالحيَل والخديعة من جيلٍ إلى جيل، كن عونًا لأبنائك على الشاسو ونصيرهم الملعون ست الذي لا يكف عن نشر الرذيلة في كل الأنحاء.. في كل الأرواح والأبدان كن معنا أيها الخالق المتفرد آتوم.

"يدخل كبير الكهنة نفر كا بتاح على محفّة يحمله أربعة من الكهنة حليقي الرؤوس، يضعونه أمام حَمّونَتْر وينصرفون، يلتفت إليه حَمّونَتْر فيكلمه نفر كا بتاح وهو مسطوح على محفته.يعالج النزع الأخير"

نفر كا "بصوت متعثر بالغ الوهن"

نَعِمَتْ روحك في كل الديار يا سيد روحي.

حَمّونَتْر وروحك.. ماذا أتى بك إلى هنا وقد لطّخت سيرتنا بالأوساخ؟!

نفر كا أَطلبُ المغفرة يا سيد روحي قبل الرحيل إلى ماعت الذي سيشرع في ميزان أعمال قلبي.. فصلٌ من أجلي أيها الرائي يا كبير خُدام الآلهة.

حَمّونَتْر وماذا أقول للعظيم مارين وهذا الشعب المتكاثر في ضفاف حابي؟

نفر كا إن العظيم مارين هو الذي ساقني إلى هنا.

حَمّونَتْر ماذا أقول لهذا الشعب.. أخبرني ماذا أقول؟!

نفر كا قل لهم إنني أهملتُ، لكن قلبي بريء لم يتعمد الخطيئة - أيها الرائي يا خادم آتوم العظيم - ولم يقترف خيانة أبدًا.

حَمّونَتْر قلْ ما شئتَ، ولكن تمهّل حتى تنعقد المحاكمة.

"موسيقى جنائزية تأخذ في العلو شيئًا فشيئًا، ثم يبدأ الموكب الملكي في الظهور، في البداية يدخل المتهمون كارا وشفراته وبن لاميم وكهات بن عارما وبن عازن وغيرهم من المتهمين، وتأخذ المحكمة هيئة

انعقادها حيث يتوجه المتهمون جهة اليسار، ثم يدخل الوزير آمون نخت ومجموعة كبيرة من الكهنة حليقي الرؤوس، وبعد قليل يدخل الملك مارين الذي يتوسط الحضور على منصة مرتفعة، أمامه جهة اليمين كبير الخدام الرائي حَمّونثّر وكبير الكهنة نفر كا بتاح يحتضر في محفة، وعن يساره الوزير أمون نخت، تختفي الموسيقى الجنائزية بالتدريج حتى يأخذ الرائي حَمّونثّر في تسيير المحاكمة ".

حَمّونثّر برحمة الروح من ماعت وفي ظل العظيم مارين تنعقد المحاكمة، فيا آتوم العظيم احفظ أرواحنا من المسخ والتحريف عندما يهوي كل هذا العالم في الظلام السحيق، احفظ لأرواحنا بصيصًا من النور لأننا وكما ترانا قد أعددنا العدة لتحرير الحقيقة من براثن الظلم.

"يلتفت ناحية وَعْبو "

أيها المُطهِّر وَعبو، أيقظ المتهمين من غفلتهم، بصّرهم بما اقترفوا من جُرم وضلال.

وَعْبو "يخرج بردية من حقيبة يربطها على صدره ويأخذ في القراءة"

هؤلاء المتهمون

"ينظر ناحية كارا وبقية المتهمين "

كانوا عونًا لكبير كهنة الشاسو في سرقة الأسرار

الإلهية من المعابد في منف وطيبة ومدينة الآلهة وتهريبها خارج حدود البلاد.. كما عاونوه في سرقة الكثير من ممتلكات رعيتنا من ذهب وفضة ومواشٍ كثيرة..

آمون نخت " مقاطعًا " فليأذن لي العظيم مارين بقطع رؤوسهم.

حَمّونتّر " محتدًا " على مهلك أيها الوزير أما علمت أن مثل هذه الأمور محرمٌ علينا تجريبها!

مارين اهدأ أيها الوزير ودع المحاكمة تسير حسب تعليم الرائي حَمّونتّر، فليس من شأنك التدخل في الأمور هنا داخل المعبد.

آمون نخت العفو سيدي الملك.

حَمّونتّر أكمل أيها المُطهِّر وَعْبو.

وَعْبو الآن وقد خرجت كل هذه الأسرار من زمام المعابد في أرض حابي، الآن أصبح مصير البشرية في خطر عظيم، خصوصًا أن كتاب تحوت كان من بين المسروقات، والآن هؤلاء هم المتهمون، فليأخذ كل واحد بالدفاع عن نفسه.

نفركا "وهو على محفته" فليأذن لي سيدي الرائي كبير خُدام الآلهة في الحديث.

حَمّونتّر تفضل – إذا شاء عظيمنا مارين.

مارين ماذا لديك؟ قل ما تشاء.

نفركا سيدي الرائي حَمّونتّر.. وأنا الآن في طريقي نحو الخروج إلى النهار حيث تبدأ حياتي الأخرى.. استشهدكم وكل كهنة طيبة وجميع المطهرين في معابد مصر.. أشهدكم أنني أهملت في حق هذه المعابد

أهملت واجباتي وقصرت في الأمانة حتى غافلني هؤلاء الشاسو وامتدت شهواتهم الدنيئة وعبثت بالأسرار الإلهية، وقد يتمكنون من الفرار بها ليسقط مصير العالم في قبضتهم الغليظة المتعجلة لاصطياد كل ما هو من طبيعة الجسد، أنا هنا اليوم لأعترف أمامكم بتقصيري في خدمة الأسرار الإلهية، فلتصلوا من أجلي ربما هدأت روحي في مستقرها الأخير.

"تخنق الدموع والضعف كلماته الأخيرة ويغيب عن الوعي فيأمر حَمّونثْر بإخراجه من الجلسة"

حَمّونثْر المدعو بن عازن حامل الكؤوس الملكية.. هل لديك ما تدفع به التهمة عن نفسك؟

بن عازن في الحقيقة أنا لا أطمع سوى في عفو العظيم مارين، أطمع في أن ينظر إليّ بعين الشفقة، وليطمئن قلبه أنني لم أخنه بإرادتي وإلاّ لكنت هربتُ وربما كنت الآن معهم في صحراء سينا محملاً بالغنائم والمسروقات " يأخذ في البكاء " لقد استدرجوني وكان ينبغي ألا أميل إليهم...

" يغطي الانفعال والتأثر على نبراته التي تنتهي بهمهمات غير مفهومة ثم يصمت "

وَعْبو وأنت يا كارا؟! ألم تكن سيدًا في رعيتنا؟ وجعلك الملك عزيزًا فيهم؟! فلماذا الخيانة؟

كارا بالحق أنا أستحق كل ما في جعبة آلهة طيبة من سخط وعقاب، وأنا في غاية الندم والوحشة على ما كان مني من تآمر مع هؤلاء اللصوص الهاربين، لكن ربما يلين قلب العظيم مارين تجاهي، لأنني آثرت أن أبقى هنا

واحدًا من رعاياه وإن تهدّم بيتي وبقيت وحيدًا شريدًا بلا بيتٍ أبد الدهر...

وَعْبـــــو وأنت يا كهّات بن عارما؟

كهّـنات تعرفون.. أنـا رجل مـن عـوام النـاس، ولـولا رضـا سيدي عليّ " يشير إلى كارا " لبقيت كلافًا طوال حياتي فـي الحظائر الملكية لكنه انتزعني للعمل فـي قصـره وأنـا رجل من العوام لا أفرق بين السفح والسطح ولا أميز بين نوت وتفنوت، وقد ورطني هـارا معهـم ورغـم كـل ذلـك فأنا مستحق لكل عقاب. إلا أنني أطمع في عفو سيدي العظيم مارين...

وَعْبـــــو والآن بم يأمر عظيمنا مارين؟!

" يصمت الجميع وقد رفعوا أيديهم إلى السماء وطأطأوا رؤوسهم "

مـــــارين هـؤلاء جميعًا مـذنبون "يشير ناحية المتهمين" احبسـوهم عـن جميـع رعيتي، واحـذروا أن يـروا قـرص الشـمس أو يتطلعـوا ناحيــة الســماء، فليســكنوا ظلمــة كــالتي ارتكبوهـا حتـى نتبين أمـر الهـاربين ونستعجل خبرهم حينما يعود القائد جحوتي.

" تأخـذ الموسـيقى الجنائزيـة فـي الظهـور مع انصـراف هيئـة المحاكمـة يتقـدمهم الملك والـوزير ثـم الكهنـة ولا يبقـى سوى حَمّونثّر الذي يشرع فـي الصلاة من جديد "

حَمّونثّـر الويل لكـم يا كـل أجناس الأرض، الويل لكـم إذا استقرت الأسرار الإلهية في قبضة هؤلاء البدو واعلموا يقينًا يا بني الإنسان أنهم لن يرحموكم حتى وإن طلبتم الموت فلن يَدَعُوا أمامكم من سبيل إلى الفرار

"محدقًا حوله في بهو الأعمدة "

أمن هنا خرجتْ الأسرار الإلهية لتستقر في قبضة الشاسو!؟ يا رب إيزيس.. يا آتوم العظيم احفظ طيبة وكل المدن في ضفاف حابي، احفظها من الوحشة والنسيان، وكن مع أبنائك دومًا لا تتخل عنهم، كن مع أبنائك من بني الإنسان، اسند ظهورهم، قو عزائمهم ضد هؤلاء الشاسو الرعاة على طول الأزمنة والدهور وباركهم من دور إلى دور في مرمى الأمم.

" وتأخذ ترنيمة النيل محل الموسيقى الجنائزية "

الجزء الثاني

العودة

مقولات في الوجود العربي

- لم يكن للعرب ملك يجمع سوادها، ويضم قواصيها، ويقمع ظالمها وينهى سفيهها، ولا كان لها قط نتيجة في صناعة ولا أثر في فلسفة إلا ماكان من الشعر وقد شاركتها فيه العجم.

ابن عبد ربه

- كل شيء للعرب فإنما هو بديهة وارتحال وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة ولا إجالة فكر ولا استعانة، وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام فتأتيه المعاني إرسالا.

الجاحظ

- إنما مثل العرب مثل جملٍ أنِفٍ اتبع قائده فلينظر قائده حيث يقوده، فأما أنا فورب الكعبة لأحملنّهم على الطريق.

عمر بن الخطاب

- تاريخهم في الجاهلية حتى وفي الإسلام سلسلة حروب داخلية، وعهد عمر بن الخطاب كان عصرهم الذهبي لأنه شغلهم عن حروبهم الداخلية بحروب خارجية، ولأنه - رضي الله عنه - مُنح فهمًا عميقًا ممتازًا لنفسية العرب.

أحمد أمين

- كان لليهود أثر كبير في اللغة العربية فقد أدخلوا عليها كلمات كثيرة لم يكن يعرفها العرب ومصطلحات دينية لم يكن لهم بها علم مثل جهنم والشيطان وإبليس ونحو ذلك.

أحمد أمين

• العرب أصعب الأمم انقيادًا بعضهم لبعض، للغلظة والأنفة وبُعد الهمة والمنافسة في الرياسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة.

ابن خلدون

• وكل نظام يمكن أن يوصف بأنه نظام سياسي على المعنى الذي نفهمه نحن اليوم أو الذي كانت الأمم المتحضرة تفهمه في تلك الأيام كان مجهولاً في ربوع تهامة والحجاز ونجد وتلك المساحات الشاسعة التي منها كانت تتكون بلاد العرب، فقد كان أبناؤه كما لايزال أكثرهم حتى اليوم أهل بادية لا يألفون الحضر ولا يطيب لهم المقام ولا الاستقرار بأرض ولا يعرفون غير دوام الارتحال والنُّقلة طلبًا للمرعى وإرضاءً لهوى نفوسهم التي لم تعرف غير حياةً البادية ولا تطيق حياةً غيرها، وأساس حياة البادية حيث وُجدت من بقاع الأرض إنما هي القبيلة.

د. محمد حسنين هيكل

• لم ترد كلمة "العرب" في القرآن بوصفها دلالة على أمة أو شعب، وإنما وردت "الأعراب" في قوله تعالى ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾. وذلك نصّ الآيتين السابعة والثامنة بعد التسعين من سورة التوبة، كما أن كلمة الأعراب لم ترد قط في القرآن إلا في سور التوبة، الأحزاب، الفتح، الحجرات. ومعلومٌ أن هذه السور من أواخر ما نزل من القرآن.

ع.م

الطلعة الأولى

حَكَمُ اللّه الشوّاف يثبّت أولى خطواته في "مغارة المقطم" وقد ربط حمارته "قمر" في أحد الأحجار على باب الكهف، في الداخل يسقط نور خفيف على تضاريس أرضية المغارة، النور يخفت تدريجيًا كلما توغل الشواف في العمق، حكم اللّه الشوّاف في العقد الثالث من عمره، قوي البنيان ذو هامة باسقة، تبدو رأسه حليقة تمامًا عندما يضع عمامته جانبًا، عقب دخوله الكهف مباشرة نرى انعكاس الضوء على رأسه اللامعة بالدهن، له لحية كثيفة وغليظة تتدلى من الجانبين حتى تلامس سُرّته عندما يجلس قابضًا بكفيه على صدغيه، عقب دخوله مباشرة يضع العمامة ثم يجلس ويأخذ في صلاته التي يقطعها نهيق حمارته "قمر" على فترات متباعدة.

حكم اللّه الشوّاف (يدخل في صلاة رافعًا كفيه بامتداد ساعديه ووجهه إلى سقف المغارة)

بك أبتدي

يا خالقي

من دون أمّ أو أبِ

يا مقصدي

بك أستعين وأهتدي

يا باعثي

خلف المئين الحُقّبِ

يا باسطًا أجلي فوق السنين

إلى سِماط الأربعين الأرشد

حتى إذا انطمرتْ في المقابر جثتي

هتف الحيا من خلف أستار الغد

يا مقصدي

أبدًا ما طال غيابهم عيني

واللوح تحفظه يميني

أو كلما استبطؤوا عَوْدي

دخلوا في الحمأ الوطين!؟

أما شهدتَ بذا في الملائك

يا أبي

يا عليم.. يا حكيم.. يا ذا سموي

كن معي ما تفحّص طائرٌ أفحوصا

أو سباعٌ في البراري

قرمصت قرموصا

يا خالقي من فيض عزّ جلْ

ما كان لي في المقدر هلّ

فكن معي في العَقد أو في الحلْ

دومًا يا أبي.

يغيب حكم الله عن الوعي، تسقط عمامته، العرق يتساقط من جبهته، وقد بلل جلبابه من عند كتفيه ونحره، تتحول الصلاة إلى همهمات غير مفهومة

والزّبد يسيل على جانبي شدقيه وجسده ينتفض بانتظام على فترات متباعدة، ومع هدوء حالة حكم الله تأخذ أصوات أهازيج نسائية في العلو رويدًا رويدًا ويغمر الكهف ضوءٌ نهاري كأنه الضحى، يتصاعد مع علو الأهازيج ثم يبدأ موكب نسائي مبرقع في الظهور، بينما يفيق الحكم ويعتدل في جلسته، الموكب المبرقع يزفّ "ماري كابت"، يشايعها بالأهازيج وماري تحاول الهروب والاختفاء، عليها ثياب رثة، حافية القدمين، حاسرة الوجه حتى نحرها، ثوبها ممزق يكشف عن بعض ساقيها فيما دون الركبتين، تتصاعد الأهزوجة ملاحقة السيدة الرثة - ماري كابت - التي تحاول الاختباء من موكب المبرقعات ولا جدوى.

المبرقعات نحن الحرائر يا أمَةْ

يا بنت صِقع ظالمةْ

في الدهر زاغت أنجمةْ

أما سَمِعْتِ عن السِمةْ

نحن الحرائر يا أمة

يا بنت دار المشأمة

طابت نهودك همهمةْ

إن كنتِ صنو ملثّمةْ

فأين الأبوك أو الحمةْ

تتكرر الأهزوجة وماريّا تحاول الاحتماء بحكم الله الشوّاف الذي ينتفض لنجدتها ناهرًا الموكب النسائي.

كفوا الملام أو العتبْ

كفوا الجهالة والشغب
هذه أختي أبت
من بين طيّات السغب
يتها البوادي
في الراح والغادي
الدمَ مبذولٌ
في السوح والنادي
والغدر موصولٌ
في الركب والحادي

مع تواصل كلمات حكم الله تأخذ النسوة في الانصراف واحدةً تلو الأخرى ببطء وتمهل حتى يفرغ الكهف إلا من حكم الله وماري، يلتقط العمامة، يضعها على رأسه ثم يبدأ في التجول داخل الكهف، بينما ماري مقعدة على مقربة منه وقد أخذها التعب وراحت في شبه إغفاءة.

حكم الله أسمعُ صوتكِ في "يصّار" مبحوحا
أسمع دَوي الفؤادِ
في الصحراء مذبوحا
أسمع أنكِ في مضارب البدو
يا ماريّا
أسمع الشجو في الغيم مشبوحا
وألمس الجسدَ القبطي

شققةً.. شققةً بالذلِّ مقروحا
أسمع صلاتك المنهكةْ
صاعدةً إلي
من تخوم "يصّار"
أسمع همس الرهافة
نافذاً إليّ
من أخاديد الجلافةْ
يا ماريّا
تثقب التباريحُ قلبي وروحي..
تنوح من غشم الخلافةْ
من "بكماء" إلى "يصار"
تنتحب العيون وتُسْبى في المسافةْ
ثم يرتد عتابًا من ربّ يسّافَ ونائل..
من ذي سموي
إلى المدلهمّ - في الغار - قيّافا
يا ماريّا
بالأمس مرّوا من هنا
لمّا يزالوا كما هنا
من خلف آلاف الحقبْ
لا زكاة سوى النسيء..
لا صلاة سوى المُكاء
أو الذبيح على النّصبْ
قبل أن يصل حكم الله إلى نهايته تأخذ ماري في

الإفاقة والإنصات، تنهض، تقترب منه، تعانقه ثم تبتعد رويدًا رويدًا وتتمتم في صوت خفيض وهي تتلفت يمنة ويسرة .

ماريّـــــا اللصوص في الإسكندرية يا حكمْ

وقيراس المغتصب

قعد مكان الأب على كرسي الرّبْ

وأعلى سارية النّصَبْ

قتّل ذرّية بتيامين

وعساكرُ هيراقليس تلاحقه في سيوة والنطرون

اللصوص في الإسكندرية يا عطية

وقيراس بني الكرد أهداني ضحية*

لآلهة الصحارى

للفاتحين أبواب المنيّة*

ونسرين أختي أعطاها مطيّة*

لشاعر الخزرجَيْن بني الحُطَمْ

يا إسكندريةُ

أكلما رفعتُ قلبي إليكِ

عيّروني يا سبيّة*!؟

غضي المطارف يا أَمَة*

لو كنتِ نَدًا مثلنا

فأين الأبوك أو الحمة*!؟

كما رأيت يا حكم

حكم الله من يومها!؟

ماريّـــــا من يومها..

حتى نسرين أختي لم تزل مربوطةً

في خيول البدو.. في غوائط "يصّار"

والسنابك القاسية

تحزّ أطرافها

كلما فزّت نحو أهلها

أما تأتي معي!؟

كي تحلَّ وثاقها

أو تطفئَ الذلّ في أضلعي!!

تأخذ الأهازيج النسائية السابقة في الظهور والعلو، فتصعّد ماريّا من صوتها

يا حكمْ

ها أنت صرتَ على عرش آبائي حكم

فاحلل وثاقي

من أسر بدوٍ أو عجم

(تتصاعد أهازيج المبرقعات)

نحن الحرائر يا أمةْ

يا بنت صقع ظالمةْ

....

....

(يجذبن ماريّا ، يدفعنها أمامهن وهي تصبح)

يا حكم.. يا حكم

مالي غير الحداد وحُرقة النظر

ياما انتظرتك يا حكم

مسبيّةً في شطوط الزمن

من فوق أشلائي عبرت جموع الأمم

طحنت عظامي

راوغت روحي....

يا حكم.. يا حكم.

الحكـــــم لا أستطيع يا ماري

حتى أستوفي كتابي

مالي خروجٌ من هُنا

طالما قَدَرِي حجابي

ماريـــــــا ماذا أسميك الآن

يا سيد الظلام والمغارة

على ضفاف النيل جددت تأليب المحن

وغرست في الشط نزيز البداوة والفتن

حقدًا جديدًا

سيطال هامات النخيل

ونسغ الرجولة في الرحم

يا حكم... يا حكم

(يأخذ الصياح بين ماريّا وحكم الله في الخفوت حتى تتلاشى الأصوات تمامًا ويعود الحكم إلى الجلوس خالعًا عمامته، يتأمل سكون الكهف ثم يرفع بصره إلى السقف وينادي)

يا غادي.. يا غادي
إليّ بالدواة والقراطيس.

(يدخل غادي – أحد غلمان حكم الله الشوّاف المقربين – شاب أمرد في أواخر العقد الثاني من عمره عليه سمت الطاعة والرضا، يدخل غادي حاملاً المحبرة والأقلام والقراطيس).

غادي: السلامَ.. السلامَ يا أميري وحُجَّتي.

الحكم: وعليك السلام يا كاشف غُلّتي.

(يغمض الحكم عينيه ويأخذ في التمتمة، بينما غادي ينشغل في تدوين ما يقوله الحكم)

لنا الخُمْسُ والفِطْرةُ، والنجوى إذا تترى، وعلى المرتاب إيالٌ في المفرد، ذلك أدنى أن تأتوا في الحق ولو خطرة، وبحقِ زُوِيْلِ وكِتَامةْ ولفيف عُقَيْلِ الشتّامةْ، وَزَنَاتةَ في نسْل تِهَامَةْ لتنالُنّ غطاسًا في القصر، وقِدَاحًا من لَمْح البَصَر، في عيدِ نوروزٍ أو غدران الخُمّ، وبحقِ الشاسو في العصرْ، مِنْ بَدْوٍ عاثوا في مصر، لَتَعُودُنّ رغَامًا في الفِصَخْ، وقرابينَ تَنِدُ عن الحَصَرْ، كلاّ وإن فَرَغَ الكنيس من حماة الروح الدنيس أو نزوة العِجْلِ الأبيس، لتَنْضُجُنّ في

وهج غَطيسْ، ولتَغْرمُنّ غَرَامًا ومكوسْ، إلا مَنْ نذر نذرًا فأَوْفَىْ، أو فَصَلَ غَلَفَةَ فأَعْفَىْ، أو حَطّ كفارةً فأَصفَىْ، تِلْكَ رُسُومُ الحاكم فاستَوْفَىْ.

يصمت ويتابعه غادي في صمته وقد بلل العرق ثياب الحكم الذي أغمض عينيه في شبه إغفاءة، صوت اصطكاك سيوف وحوافر دواب على الصخر تصل إلى جوف المغارة، ينتبه غادي، يضع القراطيس جانبًا، يصغي إلى صوت السيوف والحوافر الذي يقترب، ثم ينسل خارجًا بهدوء بينما حكم الله مازال في الإغفاء، بعد لحظات يدخل أبوالرضا – أحد فتيان حكم الله - حاملاً الماء وركوة البخور، يطوف حول الحكم بالبخور بعد أن يضع أمامه آنية الماء، يفيق الحكم شيئًا فشيئًا، يتناول الماء ويومئ لأبي الرضا بالانصراف ثم يدخل غادي مستئذنًا.

غـــادي بارك الله الحكم

حكـم الله دعهم يدخلون يا غادي

وأرهفْ السمع ومن معكْ

ولا تُدْخِلَنّ علينا من أحد

ينصرف غادي، يدخل أعيان كتامة جعفر ورشيد وأبو منيجل وابن عمار ومعهم الوزير ابن حنزية والمؤدب ابن الفارقي سعيد وكذلك يانُس الصقلبي وقد وضع الجميع أمتعتهم وسيوفهم في الخارج، يبادر الوزير ابن حنزيةَ بالكلام.

ابـن حنزيـة السلام على أميرنا وسليل رسولنا خير بني البشر.

حكـم الله (وقد وضع العمامة عن رأسه ولم يبرح قعدته)

ماذا وراءكم؟! ولماذا أنتم هنا؟

ابـن حنزيـة سيدي الحكم.. أيها المعصوم من الزلل

أولاء رؤوس كتامة قصدوك في أمرٍ جللْ

حكم الله مذ متى وعمالي يقتحمون عليّ المغارة

أما نلتقي كل خميس في المنظرة؟!

ابـن حنزيـة لقد ترددنا طويلا واستشفعنا لديك بالمؤدب

(مشيرًا إلى ابن الفارقي)

ابن الفارقي يا ذا البصيرة أَقِلْ زلتنا فالخطْبُ خطيرٌ جللْ

الحكـــم (ملتفتًا صوب ابن عمار)

ماذا وراءك ياشيخ كتامة؟

ويا حبذا لو تختصر

ابـن عمـار أعيان عقيل وبنو حمدان وأعاجم الترك يأتمرون عليك في قصر ستّ المُلك

الحكـــم وما الجديد في الخبر؟!

ابـن عمـار قد يصيبك من تدبيرهم أمرٌ أشر وفرضٌ علينا حمايتك.

الحكـــم وهذا الصقلبي (مشيرًا إلى يانُس) ما خطبه؟

يانـــس (متلعثمًا)

أيها المعصوم جئتُ مشيرًا ناصحا

الحكـــم أوَ هذا يستدعي العَجَلْ؟!

يانـــس وهل أخطر من مؤامرة تورثك العلل؟!

الحكـــم قل مسرعًا

يانـــس	أُشير بها وبالحاشية نفيًا إلى المهدية مسقط رأسها

الحكـــم	(يتأمل وجوههم فترة وهـو ينقّـل بصـره فيهم واحـدًا واحدًا)

قد علمنا خطبكم واستمعنا لنصحكم فانصرفوا.

(يأخذون فـي الانصراف وكل منهم يسحب خطواته خارج المغارة ناظرًا في وجه صاحبه ثم ينهض حكم الله، يشيّعهم ثم يصيح غاضبًا)

الحكـــم	أبو الرضا.

أبو الرضا	أمر مولانا وسيدنا

الحكـــم	عليك بهم، تتبع أثرهم ثم أخبر برجوان بأمرهم ولا يَرَيَنّكَ منهم أحد.

(يضـع قُبلـة علـى جبهـة أبـو الرضـا ويودّعـه، يـذرع المكـان متـأملاً سقف المغـارة ثم يعود للجلوس فـي مكانه الأول، يضع العمامة جانبًا، يدخل غـادي، يعود إلى هيئته الأولى بين القراطيس والمحبرة منتظرًا صوت حكم الله فيأخذ فـي الكتابة)

وَقَضَىْ الحاكِمُ ربّكم ألاّ تخرجَ آنسٌ عَقْبَ المغارب حتى عَسْعَسَاتِ الْغَلَسْ، وأن تُفرقوا بين جوارٍ وغلمانٍ فـي سُـوحِ الـنّخَسْ، وألا تَخْتلِسُـوا الكواكـب كاشفاتِ النَجَسْ، ولا بأس أن يُسَاقَ رَقيْقٌ وسبايا كلٌّ فـي يومٍ عَلَسْ، وإن اضطُررتم فتتصيفٌ حدّه الظهيرة، والذبيحَ من مقطوع البقر، كنت قد نهيت إناثًا غير ولِدانٍ فلا إثم أن تعودوا إليها فـي غير ما سَقْيٍ أو حِراثٍ أو شعيرة، وحُرّمت عليكم الأنقليس والبوظة، وما خرج من الموز والترمس فـي أكناف

القاهرة، وأن تغطسوا إلى حمّامٍ في بركة الفيل غير مؤتزري خاصرة، ذلك أزكى من دُلجمان الهاجرة، ومن يمضغ جرجيرًا أو ملوخيّةً في غير ما خصاصةٍ ظاهرة، أو يتقرّب حاسيًا إناءهُ نقضَحَهُ بطرطورٍ وجرْسا ونقيّض له في الآبدين نُكسا، لا ينفك معينه وإن بشهاب وحرْسا، وما الحاكم بمغفلٍ عن شؤون المنشئين شيّا.

(صوت امرأة نائحة يأتي من بعيد، يتوقف حكم الله منتفضًا وقد بوغت بالنواح، يشير إلى غادي بالخروج واستطلاع الأمر، يرتفع النواح وبعد لحظات يدخل غادي بصحبته امرأة تحمل على كتفها طفلاً مقتولاً والدم يسيل على صدرها ويتخلل الملابس)

غـــــادي اهدئي يا أم الرضا، فأنت في حضرة الحكم.

(ينهض الحكم وعليه علائم الدهشة)

أم الرضـــا قتلوا الرضا يا مولانا، وقطعوا راس أبيه

الحكـــم أبو الرضا؟

غـــــادي هذا والله أمرٌ نكير

قد كان هنا من وقتٍ يسيرْ

حكم الله عودي يا أم الرضا وسيكون لنا معهم شأن

أم الرضـــا (تقبّل الأرض تحت قدميه باكيةً، تحمل ابنها المقتول وتتهيأ للانصراف)

بقيتَ لنا ذخرًا يا مولى رقابنا

(ثم تنصرف)

حكم الله (وقد اغرورقت عيناه بالدموع)

ماذا يريدون بعدُ ياغادي

ذبحوا الأحبة واستباحوا النادي

تبًا لهم من علوجٍ

حاضرين كانوا أو بوادي

غـــــادي هوّن عليك أيها المحتجبْ

فلكل يوم حادثة

ولكل مكتوبٍ عقبْ

حكم الله هلمَ بنا يا غادي

هات اليراعة والكتب

دوّن لهم منشودي

فأنا المنشود لا عجبْ

أنا ابن نسرٍ منتخبْ

(يعودان إلى هيأتهما السابقة ويبدأ حكم الله في التمتمة)

والرّامِ والقُلَّيسْ. وتُحوتِ الرّعَمْسيس. لتَأْثَمُنّ إلى المشَاش يا عبدَ قيسْ، إنمّا جَهِيرا لا هَسَيسْ، إلاّ مَن تحنّفَ في شِعَابِ المقُطم أو في بطحاء بَلبّسيْسْ، والجهرِ والهميسْ، ومنشودي في الخَميسْ، سترونها مُعُدًا في الشرق الأبيسْ، حتى يخجل البدوي من وَلج الخَنيْسْ، اوَلم يَرَوْا أنا قد نَدَهْنَا من قبلُ كثيرًا في السفوح، الا دمّ إلاّ بدمٍ ولا إثمّ لدينا يروح، بل كراهةٌ بكراهةٍ وانتزاعٌ بنزوح، وألا خصاء في

الثلاثا، فذلك يومي والبقية مظلمةٌ، لطمٌ بلطمٍ وعويلٌ بعويل والتشفي مشأمة، يا أيها الشاسو قد أقبلتْ نُذري فاتقون.

(صوت ترنيمة البدو يتصاعد رويدًا رويدًا مع حلول الظلام تدريجيًا)

ترنيمة البدو :

هذا من أزدٍ وقضاعةْ
أولاءِ بنو مضرٍ وشفاعةْ
إن عصفتْ بالنجد مجاعةْ
لا رَحِمٌ يجمعهمْ أو طاعةْ
أولاءِ عِدانٌ وقِحاطٌ
بالقلب تِهامٌ ويشاعة
أرهاطٌ لم تحرثْ أرضًا
أو ترفع بنيانًا وصناعة.

الطلعة الثانية

"حَكَمُ الله الشوّاف" متكئ على الكنبة في "المنظرة"، أصوات الباعة والمنادين وأصحاب الحرف تصل إلى أذنيه، بجواره محظيته شلباية ترضع صغيرها، على مقعد منفصل يجلس غادي، معه القراطيس والدواة وأمامه طاولة مستديرة يستند عليها في الكتابة.

شلباية نُكِسَ بيتُ أبي الرضا
ويقيتْ زوجته هملاً موقوفا
ورجالك حولك كجراد الحقل
لا تملك في الحق نصيفا

حكم الله الدم يا شلباية
أتحاشى المخاضة فيه
قتلى وجماجمُ في قلبي
تلحقني صحوًا ومنامًا
تلقي بي في قلب التيه

شلباية أم الرضا لا تنفكُ في كَبَدْ
تقصدني في دم ابنها
فأنا مثلها من أهل البلد
وتراني محظيةً لديك
ونساء أهلك في كمد
يرصدنني متهومةً

في الصّدر أو في الوَرَدْ
وأنا منهن ضائقة
خوفًا على هذا الولد
(تشير إلى رضيعها)

حكم الله	صبرًا يا أم الولد
فالكل آتٍ في الغيوب
لا تطلبي ثأرًا بدد
أو تندبيني في الخطوب
فلكل مرصودٍ قُطوع
ولكل منشود أبد

شلباية	أما تراني يا حكم
ـ وأنا أصل الرعية ـ
بين النسا منبوذةً
وهنّ اللواتي ما عرفن سوى البوادي
صرن الحرائر في قصوري
وينعتنني في الحريم مسبية

الحكم	مالكِ يا أم الولد!
هل غيرُكِ فيهن أنجبت؟
ولتعلمي أني لا أدّعيكِ خليلتي
خوفًا من غيلة الأعراب
رجالاً كانوا أم نسا
وها هم كما ترين ورائيا
من الغداة إلى المسا

فلتهنئي يا أم الولد

فأنتِ على عرش الحجا.. نسلك وارثي

وضع الإله فيك خصيبًا مونسا

وأما عن أم الرضا

فلتعلمي أن الرضا بالضبط يشبه غادي

وسأجعل سيرة قاتله

في الناس مَنْكَسا

شلباية ومن يضمن لي أن ما تقول يا حكم

سيصير إلى الحقائق عسعسا!؟

الحكم لك ما تشائين من رجالي حرسا

وقصوري وخزائن دولتي

يا أم صغيري أنسا

ولتتركيني الآن فأنا على موعدٍ

لا جلالاً مثله في الورى أو أتعسا

(تتصرف شلباية، يلتفتُ حكم الله الشوّاف إلى غادي الذي ينزع الريشة من المحبرة ويبدأ في الكتابة خلف الحكم)

إياكم وقصاصَ ست فإنه ندٌّ خصيم، يورثكم كل محظور ذميم، فاحفظوني واحذروا كل سطّار أثيم، إن ست وقطيعه من الشاسو كانوا آفتي في كل حين، إذ أرادوا استباقي سطوًا على السر الدفين، صنعة الخلق وأصلَ كل نامٍ في العالمين، فانتبهنا إليه وسددنا عليه كل سبيل بالنار والحرس الحديد،

ونبذناه من رحموتٍ وعيد، فتمرد في الخلق علينا
وقال لأهلكن عملك وما ادخرت في الوجود
أجمعين، واذكر في المنشود إيزيس إذ غلب الست
شعبها فآذروه على قتل أوزير فاحتملوه ميتًا حتى
أقاصي الصعيد، فقصّت نفتيس أثره شعرةً شعرة
حتى فرغت إليه في الكهف الحصين، واختلستْ من
أجناد ست غفلةً ونظرت في عينه اليسرى وصلّت إلينا
فأحيينا لها أوزير وبعثاه إلى إيزيس أختها فلما بصُرت
به لم تجد له قلبًا فبكت وانهمر الدمع في الوادي
السكين، فأنبت الدمع خبزًا ويمسويًا فأكلوا جميعًا
وشربوا من طُعم مَعين فأنبتنا له قلبًا وحياة في
الصالحين، وعرف أوزير سكة إيزيس عَوْدًا فأنجب
حورس نعم الولِدُ إنه كدح ثمين، وخلاصًا منا إلى
شعب حابي وبركةً للناس أجمعين نعم الوِلْد أوزير لم
نجعل له من قبل صنوًا أو قرين.

(يصمت الحكم فجأة فيكمل غادي)

غـــــادي فتجلى الأيّال خيرُ المانحين.

(فيرد عليه الحكم مستحسنًا)

الحكـــم سطّرها.. أحسنت.. أحسنت يا غادي.

(يأخذ غادي في تسطيرها وما إن يفرغ حتى يُقرع باب
المنظرة، يشير الحكم إلى غادي الذي ينهض ويفتح
الباب، يدخل أبو الحسين الزوزني ومعه رجل آخر
يتهادى في خطوات غير متزنة، عليه ثياب رثة، شعره
منكوش وحافي القدمين)

الزوزنـــي بورك وقت حُجتنا وناصب إمرتنا

مولانا الحكم

الحكم بوركت يا زوزني

الزوزني (مشيرًا إلى الرجل الذي جاء معه)

هاك ابن قُنْدُس

قائدُ سربِ الفَلَكْ

ما مثله يرعى الكواكب

ويحصي الناجين ممن هلك

الحكم مرحبًا يا بن قُنْدُس

وأهلاً بك في اليوم الحلك

(ابن قُنْدُس لا يرد، يأخذ في المشي جيئةً وذهابًا مستطلعًا سقف المنظرة ومختلسًا النظرات من حين لآخر إلى الشارع عبر الشباك على يسار الحكم الذي مايزال متكئًا على الكنبة، يلتفت الحكم صوب الزوزني ويشير إلى غادي بالكتابة والتدوين)

وأنت يا زوزني، خذ المنشود عني لا تني، واقرأ رقاعك في التاسوع الأحسن، بلدٌ بلادْ، ومنيفُ أوتادْ ونهورٌ بجسورٍ أشداد، ومناسيب على الفيض وأجيادْ، أبدٌ تأبيدٌ وأبود، وسلوك تهجيد أيْهود، فيها أقطاب وشهود، وما ضاقت علينا الآيلة، يا زوزني، خذ صفو الحكمة واعتن، فأنا الموجود لا أحدٌ فاتني، وجنودي من تفنوت وماعت يوم الخلقة شهدوا، ويوم الميزان يقومون بتحوتٍ يحمله حورسْ، منشودٍ يتلوه هُرومسْ، فيشهد كل مخلوق ما خلق وتقرّ أفئدة العصاة، يا زوزني، ينفتح الخليج في مِسْرى، والغطاس يحدوه في طوبة، ولا نوروز هذا العام أو مثرا، حتى يصبح

رمانكم مِثرى، ولا فصحٌ يشبُّ في هاتور أو بابةً، أنا الحاكم أكلتُ فشبعت وشريت فارتويت ونمت فرَيْث وما صرت سرمدًا حسرى.

(يصمت الحكم ثم ينظر لابن قُنْدُس ويخاطبه)

وأنت يا بن قُنْدُس!؟

(ابن قُنْدُس يبدو في غاية التركيز والاهتمام، بل ينقطع عن حركاته والنظر إلى سقف المنظرة واختلاس النظرات من الشباك إلى الشارع، وعندما يصمت حكم الله الشوّاف ويكف غادي عن الكتابة تكون أصداء نداء أحد الباعة واصلة إلى المنظرة فيأخذ ابن قُنْدُس في ترديدها بصوت ملحون)

ابن قُنْدُس تمرٌ من شفَ الحَرّة

لكعابٍ في البال مسرّة

إن تزهد في العيش مرارا

ستعود من السوق بتمرة

أو تغضب زوجك صالحها

بصحافٍ من تمر الحرة

الحكم أتريد تمرًا يا بن قُنْدُس!؟

ابن قُنْدُس ما لهذا جئت!

لكنه التوافق والقطوع

الحكم أتراه قد حان قطعي؟

ابن قُنْدُس لا تتعجل غيبًا أو رجوع

فكل ابن شبعٍ لا يجوع

الزوزني (مندهشًا)

صرت الآن في الكلام لهلويا

وأنت الذي أضجرتني بالصمت

والتحديق في الدهماء تعقيبا

(غادي يقلع عن العناية بالقراطيس والدواة والكتابة ويتابع الحكم في حركاته وسكناته مأخوذًا في تأمل عميق)

ابن قُنْدُس   من الشرق ومن الغرب هبَّ الفتن

الكل ماضٍ في المقطم

إليك يا رب الفِطَن

عزمٌ حديد وقلب شفيف

بصائرُ نافذاتٌ في المحن

الزوزني   يا بن قُنْدُس.. مولانا الحكم

لم يطلب توصيفًا ومسوحا

بل رام طوالع وسيوحا

الحكم   صهٍ يا زوزني

أكمل أيها الناطق المعتني

ابن قُنْدُس   (لا يكف عن الحركة والتحديق في سقف المنظرة ويعاود اختلاس النظرات إلى الشارع بينما الحاكم يتابعه باهتمام)

لك غد ما مثله في الفوائد عيدُ

يهمي عليك من الطوالع في السما تمهيد

يا غائبًا لم تغب في المساعي قدرته

يا قابضًا قلب الحقيقة والمقاصدُ بيدُ

إن أقبلتْ كالحاتِ كالنسيء

فياما لنورك في الورى ترديدُ

أو أدبرت كسفًا من بوادي

فمآلك الميزانُ وكتابك المنشود

(مرة أخرى يعلو نداء بائع التمر، يصعد ابن قُنْدُس على الكنبة ويقفز من الشباك صائحًا)

جئتكَ يا شفّ الحرة

فامنحني لمياءً كالجمرة

الحكم وجمرةِ ابن قُنْدُس، والهندوز إذا هندز...

(يأخذ الزوزني في الانصراف بينما يسرع غادي إلى القراطيس والريشة ويبدأ في التدوين خلف الحكم)

ستطلعون غداة من سمندز، لاهثين إلى الميزان من نسوخ وقمّس، فمن خفّ في الميزان قلبًا، فما له غير ست، وما أدراك ما ست، خلق علينا تمرد، فحق في الأقدمين وياله، ثم سلكناه في اليحيا وفي الميزانِ خُسرا، وما له في الصالحين يسرا، إلا من آب أوبةً أو نسخ نسخا، ورعا الميزان في السير ما مسخا، فاقبليه يا تاسوع هوادة وفَسْحا، وباركي ما انسلّ قربانًا وفصحا، فإنا وإياهم في المدى واحد، يتبدد فترات ويؤوب لاحد، ينشق في اليحيا ويزهر ثم كمون في البدا فصعود في الصدى ونسوخ دواليك تترى، حتى إذا هي عودة أخرى تلتئم الآحاد وترا،

ذلك طلع حميد، وخلود ليس يبيد، فلا ورب الحاكم ما قصرنا في المنشود سطرا.

(يتوقف الحكم فجأة فيفز غادي منتبهًا، يتوجه خارج المنظرة ثم يعود بالماء، يقدمه للحكم ويعود إلى جلسته متأهبًا لتدوين الكلام فيبادره الحكم)

أتعلم يا غادي؟

غـــادي وأنّى لي يا أميري وحجتي؟!

الحكـــم الناس مبثوثون لقيظٍ هاجرة

وأنا لا أرجو منهم نسيئة

فلا هَمّ لديهم غير البطون العامرة

أو جسوم النساء الهنيئة

فقم يا غادي إلى المنظرة

واصحب برجوان فقد حان مجيئه

(صوت برجوان وحاشيته يأتي من الخارج، نهيق الحمير وأجراسها في رقابها تصطك، ثم يدخل برجوان وبعد قليل يتبعه اثنان من حاشيته كل منهما يحمل زكيبة ممتلئة وتبدو عليهما المشقة من ثقل الحمل)

برجـــوان السلام على أميري وحجتي

الحكـــم وعليك فيض محبتي

برجـــوان (مشيرًا إلى الرجلين بوضع حملهما، يضعانه ثم ينصرفان)

لن تكف "ست المُلك" عن تحريض الرجال

بالنساء مرةً.. ومرةً بالمال
ولولا أنها أختك...

الحكـــم مهلاً.. على رسلك يا برجوان
الزم ما أقول ولا تبرحه
واعرض عما سواه فلا تنكحه

برجـــوان العفو يا حجتي
ماذا لو منعتَ عن يديها الذهب
فلا تطال المال
وهكذا تهدّ لا يتبعها الرجال

الحكـــم وفّر عليك النصيحة
وأبنْ في الحال مقصدك

برجـــوان (يأخذ في حل أربطة الزكيبة الأولى، يمد يده داخلها ويبدأ في إخراج رؤوس بشرية مفصولة عن أجسادها ومضمخة بالدم المتجلط، يشرع في عرضها واحدةً واحدةً بينما يهرع غادي إلى طاولته استعدادًا للكتابة)
تلك رؤوس كتامة..
القائد جعفر ورشيد
وهذي عفراء الشتامة
ما عنزان عليها انتطحا
هذا ابن عمار وأبو منيجل البائس
.. رأس حنزية والصقلبي يانس
أولاء زنادقة.. مروجون للفتن
قاطعو طريق... ابن الأحنف،

أبو حشك وابن أبي العقيق

الحكم بورك فيك وأفلح وجهك ووجوه من معك

وسدد الرب إلهي مطلعك

حاش عنك سبيل الشر فلا يخدعك

(ينصرف برجوان نحو الزكيبة الأخرى، يحاول فك أربطتها فيبادره الحكم)

دعها تذهب للجحيم كما هيه

رؤوساً ودماءً كابية

أبداً لم تتضج يوماً

أو تنحو سُبُلَ العافية

(ثم يشير على برجوان بالانصراف)

ألقاك هنا في الخميس

برجوان (وهو ينصرف) على بركة الله.

الحكم (مومئاً إلى غادي)

يافور والقمر وما يركبون، ليس حديداً هذا القطعُ كنصل السكين، غير أصيل في الخلق مكين، فلا تحسبه كيعفور ويت، بل تدبير همجيٍّ من ست، يورثكم كل منكور وعُجمة، ويلبسكم كل مسحوت وظلمة ففروا إلى الميزان يا أبناء لُحمة، كُتب عليكم تأكلون فلا تشبعون وتشربون فلا ترتوون، وتتمسون فلا تريثون فإذا القلوب في حضرة التاسوع قامت، يوم لا نقدٌ وبيوع، أو كدٌّ في غرسٍ مصنوع، تتلمس قلبك وتضوع، في زمرة سُخْمويَ وست، ذاك فريق محزون، أما من كان في حضرة

تفنوت وماعت، ففئٌ من رع وأمون، هذا يومنا المنشود حيا، فلا نجوةً إلى لمن قام حيا، فما كنز كنيزًا وَلَيًا، بل نثر نثيرة، من مال وبصيرة، وتواضع للموحود شمسا وفيًا، فإذا نبذت النابذة، قلوب يومئذٍ لائذة...

(صراخ شلباية ينبعث من الداخل في نوبات حادة وسريعة، يتوقف غادي، يرقب سيده الذي لا يتوقف فيتابع غادي الكتابة)

من أسرها مستنبذة، في أرطبونٍ عائذة...

(يقترب الصراخ، تدخل شلباية إلى المنظرة حاملة صغيرها الرضيع والدم يشخب من رأسه)

شلباية   قتلوا الولد

أيناك يا حكم؟

يا حسرة في الكبد

من عُريان كالعجم

(ينهض حكم الله، يتناول الرضيع من شلباية، يسحب الغطاء من على وجهه ثم يضع قبلة ناحية رأسه)

الحكم   لنا الله فيهم

لا تفزعي

فالحقد يعميهم

ويفتك بالأضلع

والحمق يصرعهم

ياله من صارع!!

(يضع يده على كتف شلباية ويغادر المنظرة مصطحبًا إياها بينما غادي منشغل بالتدوين مع صعود ترنيمة البدو)

هذا من أزدٍ وقضاعة

أولاء بنو مضرٍ وشفاعة

إن عصفت بالنجد مجاعة

لا رحم يجمعهم أو طاعة

أولاء عدان وقحاط

بالقلب تهام وشناعة

أرهاط لم تحرث أرضاً

أو ترفع بنياناً وصناعة.

الطلعة الثالثة

أم محروس الداية أمامها المولود في الغربال ملفوف بالكتان، ست الملك فوق كرسيها المذهب، تشرف من فوقه على جميع الحضور، البخور يتصاعد من مجمرة أمام غربال المولود، بجانب الغربال صينية واسعة في وسطها إبريق ضخم تخرج من فوهته دُمية خشبية على هيئة عروس مزينة بالحرير والذهب، بجوار الإبريق في الصينية أصناف كثيرة من الحبوب، فوق المجمرة يطقطق المرّ واللبان والشبّة، الجو عابق برائحة المزيج المحترق، خديجة بنت قرواش العقيل أم المولود تخطو فوق المجمرة، جوقة من الأطفال يدخلون حاملين الشموع، يتبعهم نساء القصر في زيهم الأبيض حاملات الدفوف، تدور الجوقة حول خديجة والداية والمولود والجميع يرددون مع كل خطوة تخطوها خديجة فوق المجمرة والبخور يتصاعد.

الجوقـــة نورت دارك يا وليد

نورت مصر كلها

وياك يخضّر من جديد

مسعى البشر قلب الحياة

ربك تجلّى.. بعيال أهلّه

والدنيا هايصه والبركة حالّه

وما حد يقدر يفوت في لمّه

غير لما يعرف يشوف ويسمع
كرم الإله

وانهضي يا أم الوليد
دا الرب حبك
ومدّ حسّك جوه البلاد
إن شا الله يكبر أُصاد عينيك
يسري في ترابك ميّه وزاد

انهضي يا أم العيال
جالك ولد
نوّر شموعك في يوم سبوعك
يجعل إلهي خطوتك شجرة بالود طرّاحة
يجعلها ربي جناين بالخلفة فوّاحة
(عقب انتهاء الجوقة من النشيد تصطف كقوس خلف الطفل وأمه والداية التي تأخذ كل تحفزها أمام المجمرة، ثم تبدأ في إلقاء المزيد من البخور والمر على النار وهي تردد في كل رمية)

الدايـــــة السبوع.. سبعة من كل حاجة
سبع حبّات
سبع لفات
سبع خطوات
الدنيا وكل ما فيها

سبع دورات
دورة للخلق والولادة
ودورة كسْب وعبادة
وواحدة للنسيم العليل
ودورة للفكر والتأميل
وفيها دورة مَظلمة ونعاسْ
وراها واحدة كفارة وغطاس
والدورة الأخيرة خلاص

قومي يا أم الوليد
وخطي فوق الجمر
إن شا الله زرعك يخضّر
ويطرح ويّا زرع الناس

(تعاود خديجة الخطو فوق المجمرة مع صوت الدفوف ومعاودة الجوقة لمقاطع النشيد ، ومع انتهاء الجوقة وانصرافها تنهض أم محروس الداية ، تتوجه ناحية ست الملك التي مازالت على كرسيها ، تنحني أمامها وتقبل يدها ، تصفق ست الملك يدخل أحد الغلمان السود ، تومئ له فيأخذ الداية وينصرف ، في حين تبدأ فتيات القصر في إعادة ترتيب المكان ورش العطور وإطلاق بخور من جديد ، تنزل ست الملك ، تتوجه نحو غربال الوليد الذي مازال أمام الإبريق وظلال الدمية وبجواره أمه خديجة بنت قرواش العقيل)

ست الملك   هنيئاً لكِ يا خديجة

هنيئاً يا بنت قرواش العقيل

صرتِ أما للوليد

ويا حسرةً على العُريان

في الكِتامَة أو زويل

خديجـــــة - (وقد نهضت حاملة الغربال وفيه الوليد تقدمه إلى ست الملك)

في ظلالك يستقيم العود

سيدًا في مرمى حاسديه

لولاكِ ما كنت أُمّاً

أو كنت أهلاً لأبيه

(تهمُّ بالانحناء وتقبيل يد ست الملك وهي تواصل في انكسار)

يا ربة نعمتي كلميه

عن عمري المفوود عني.. كلميه

طوال زواجنا لم يلقني غير مرة

ولا حيلة في يديّ ولا قرار

كلما فز قلبي في رحابه

أقول لهجعتي سيدق بابه

حتى أفيق ولا أجد

إلا المرارة والحصار

كلميه عني.. فأنتِ مثلي امرأة

تعرفين معنى أن تعيش مجزّأة

منفطرٌ حشاها

بين معشوق بليد أو ليالٍ مُنْسأة

ست الملك كفى يا أم الوليد

أنتِ في طور النفاسة

بددي غيم الهموم

واطردي شبح التعاسة

اذكري فألاً حسن

من ربوع "السُّلجُماسة"

واستحضريه إلى الوليد

خديجـــة (تشير إلى ابنها الذي صار بين يدي ست الملك)

حتى اسمه.. اسم وليدي لا أعرفه..

صار طيفًا كأبيه

وخيالاً لا صفَة

كلما خلوتُ بنفسي ضغطت رأسي

وقلتُ:

يا خديجة اعصريه

ربما هلّ علينا

أو ربما لن تفقديه

ست الملك هوّني من عذابك

فأنت أم لبنيه

فغدًا سيدق بابك

إن لم يكن لِلَجاجةٍ بفؤاده

فحصاده من صلبه سيردّ فيه

(تربت على ظهرها وتمسح دموعها التي أخذت في

الانهمار في حين يدخل أحد الغلمان السود، يقترب من ست الملك، ويسر في أذنها ثم ينصرف، تعدل من هيأتها)

ست الملك كفكفي دمعك يا أمَة

هو ذا قد هلّ بلا سِمة

(يدخل حكم الله الشوّاف يرافقه غادي مصطحبًا الدواة والأقلام والقراطيس)

حكم الله السلام عليكم

خديجـــة (وقد فزعت في ارتباك وهي تخفي وجهها)

سلمتَ من كل سوء

حكم الله كيف حالك يا ست السعود

كيف حال هلالنا المولود

(ست الملك تقدم للحكم ابنه وهو مازال في الغربال، ينظر في وجه المولود)

تبارك مَن خلقْ، نفسًا ذا طموحٍ من علق...

(يأخذ غادي وضع التدوين ويبدأ في الكتابة)

لها طولٌ ذو صدورٍ من فلق، إنه الترجمان في العُلا، غير منسوخ في الأُلى، واسمه العليّ وما علا.

ست الملك أبشري يا خديجة

فاسم وليدك دُقّ بأرضها

اسم ماله سَميٌّ

في طول البلاد وعرضها.

(يبكي الطفل فيشير الحكم على ست الملك بالسكوت ثم يناول الطفل لأمه)

حكم الله أرضعيه يا خديجة، سرسويًا إذا جه، فيشب عصامًا، ليس ما به حاجةٌ، هذا مادمت فراشًا لأبيه، فإن وقع شقاق فاعتزليه، وحليبًا من ثديك لا يَحم، قضاءً منا لكل مفصولٍ عن رحم، وإن كنتم في شقاقٍ وأراد زوجٌ لبنيه لبانا، فأجرٌ من وراء سترٍ لا عيانا، حتى تضع النفرة أغبارها، وإلا فقصالٌ قد وقع بيانا.

ست الملك (تحاول استمهاله)

يا أخي.. ياحكم

قد أتيتَ...

حكم الله (غاضبًا)

تبًا لكِ يا راشدة، أكلما استخلصتُ نجيا، تشربين من دمه حاقدة، أما كفاكِ الرضا وابن شلباية، فنزلت في المنشود قطعًا كحرباية، فإن لم تنتهي يا خديجُ لنصفعن بالجراية، وما أدراكِ ما الجراية، خبز منضود، وسماط ممدود، وكعاب ونهود، ودماء من إحليل تهود، تدخل في حيوات مشبعةٍ ثم تعود، تلك خطاكم في هذي، حتى إذا هلّت الآيلة، شخصت حيوات ماثلة، وعاد المصدور لصادره، فذلك حدّ الموجود، قد آب إلى أبدٍ وخلود، أما تراه يسعى، مذهولاً في المسعى، حتى إذا بليت الحدود، فلا لغو الآن ولا محدود، بل رَوْحٌ وشهود، تنظر من بقيَ لتبدا، إنه كان ختمًا موصولا، وقضاءً مأهولا، لمن كان في الكدح حَمولا، إنا سنتنظره بعودٍ مأمولا، وما كان شيءٌ في المنشود مبدولا.

(يصمت الحكم، يتوقف غادي عن الكتابة، ست

الملك وخديجة ترقبان الحكم، الطفل في غرياله أقلع عن البكاء، يتطلع غادي إلى الحكم فيومئ له بالانصراف ثم يخاطب خديجة)

خذي العليّ يا خديجة وانتظري في المخدع

فلي مع أختي أمور

لا أرغب أن ينظرها أحدٌ أو يسمع

(تتصرف خديجة تحمل وليدها في الغربال ثم يقترب حكم الله من ست الملك مؤنبًا)

وأنت يا راشدة!؟

حتّامَ تؤلبين البدو!؟

من قنسرين إلى طنجة

أفواج يأكلها العَدْو

وصنوفٌ من كيد فرنجة

راشـــدة طال انقطاعك في المقطم

ورجالك حتفك الآتي

وماذا لو فديتك – يا أخي –

فما لك ناظرٌ مثلي – إن قعدتُ –

إلى الممات.

حكم الله يا راشدة

لك أن تعلمي أن ممالكي سائرة

ليس بتدبير همّتك الرشيدة

بل بتوفيق ربي

واعتماري في القاهرة

راشـــــدة قاهرة!! ما القاهرة!؟

بلد ككل بلادٍ لنا في الشام أو إفريقيا

جندها موالي ونيلها عوالي

بالكاد يكفي السُّقيا

حكم الله نحن مختلفان يا أختي

هواك في الصحراء

وهواي في اللقيا

راشـــــدة هذه الصحراء سؤدد أهلك وذويك

منها أبناء زويلٍ وكتامة

حصنٌ يوم الروع ودرع نجاة

منها أبناء لُواتٍ وزناتة

ميزانٌ في العدل وينبوع تقاة

حكم الله هنا في القاهرة.. مدٌّ قديم

أممٌ قامت ومواريثٌ قرّت

هنا نفَسُ الإله مبثوثٌ مقيم

أما ترين أديارها على ضفاف النيل

علاماتٍ للرب وأوتادًا للحكمة

قبل تروغ عيون نحو سماء التنزيل

أنصارك من بدو قالوا أوتاد فراعين

وأراها أقداسًا للرب تقوم بمصر

لم يشهد مثل بدائعها في الناس العصر

ربّ البدو مقيم في الخيمة والناقة

والرب هنا موطنه القصر

خلْقُ الصحراء توزّع في الغمْر خيارين

"شمشون" الغاشم أو طمع "سراقة"

والخلق هنا منزرعٌ في الشدو

فما أضيعني إن أعرض قلبي عن درب الحق

وسلك عَجاجًا من نقع البدو

راشــــدة ما بهذا تستقر الممالك في الناس وتشتد

ماذا تنفع كف الكلمة أو ينبوع الحكمة

قدّام عجاج موتورٍ محتدّ

يروم عسل القاهرة

هل صارت ترسًا أو حدّ

قدام الفُرس وجيش الإفرنج

هل تنكر أن ضفاف النيل اعتادت

ويلات الهكسوس ولوبيا

وحتى سودان نباتة في الزمن الممتد

حكم الله (مقاطعا)

ومن قال أني بلا ترسٍ أو حد

أما ترين دعاتي أجنادي

قد فاقوا في الناس العد!؟

راشــــدة هم سبب بلائك إن يحمى

أخيار من عجم وعلوج

كيف يسير الركب بأصمخ أعمى

وهذا المنشود على كل لسانٍ ينفرط ويمتد

(طرق على الباب يقطع الحديث، يدخل أحد الغلمان

السود هامسًا في أذن ست الملك ثم ينصرف)

ست الملك ها هم أولاء رجالك قد جاءوا

أستحلفك بأغلى ما عندك

انفض قلبك منهم تنجُ

قد وهنت ظهرُ مطيّتك

والملأ بإثمك قد باءوا

(يدخل قرواش العقيل ومعه اثنان من العبيد يحملان جثة برجوان، بينما رأس الجثة في جراب يتدلى من يد قرواش، يضع العبدان الجثة وينصرفان ثم يدخل غادي على أثرهما)

قرواش (مخاطباً ست الملك)

تلك عاقبة الأعجمي

برجوان الخائنُ الأغلف

(ملتفتاً ناحية الحكم)

هدى الله مولاتي

فأبادت سعيًا ما أسرف

الحكم (معنفاً أخته ست الملك)

حتى برجوان يا شقية

ومن ذا الذي يحمي الرعية

من بدوٍ أفسدوا في القلب

أو بدوٍ في الجدود القصية؟!

قرواش إنّا لها.. نحن جنود الفاطمية.

الحكم (مخاطبًا أخته وقرواش)

إليكما عني

ولتحملا هذي الجثث

تلك الدماء تغُلّني

وتحطّ قلبي في الروث

(ينصرفان وكلاهما يهمس للآخر بكلام غير واضح وإيماءات معبّرة في حين يتأهب غادي للكتابة)

وخَضار البَطّة والسدرة، ورسيس الطبخة في القِدرة، هذا منشود من حضرة، فيها أيمان مقتدرة، من برقة غربي فزّ أبو ركوة، من دون بلاغ أو شكوة، محتشدًا بجنود بدوية، وفلولٍ من هاشم وأمية، شرّق بهتانًا في الجيزة واتخذ بفيوم سرية، يتحين فتكًا بالقاهرة، وما أدراك ما القاهرة، كف الرحمن غامرة، لا ذلولٌ في النائبات خائرة، يتها القلوب العاهرة، في صدور الشاسو والمشوش، من سامٍ إلى أصلاب كوش، كفاكمو غدرًا بالقاهرة، فتلك مقامي وجنتي، وجناحي فوق عيالي وقبلتي، وانحدر أبو ركوة في السودان، وفرارًا لاذ إلى العريان، فأسلموه إلينا معزولا، وقرواش بجانبه يكذّب، يزعم أن طارده مرارًا، من منية طوخٍ حتى بريّة شَنْدَب، إلا إن عيوني دلّت عليه، فجئنا به إلى بركة الفيل مغلولا، لا يملك عسسًا أو كفيلا، فنبذناه إلى الهوّ قديدا، لا دفنًا بعدُ ولا تحنيطًا إلا حشوًا حتى المشاش، وكذا الدّعيّ ابن قرواش، عبرة لمن كان ظلم، في سوح الكريهة والكلم، وما ينقشع المنشود عن ظفرٍ أو قلم...

(صراخ وعويل.. تدخل ست الملك محلولة الشعر تلطم وجهها)

ست الملك ما عاد بصدرك قلب يهتز

ورجالك قطعوا رِجْلَيّ فرواشٍ ويديه

صرتَ وإياهم ذئبانا

تهفو إلى الدم وتلتذ

الحكم صه يتها الخرقاءُ

الدمُ بالدمِ والبدو أظلم

(مناديًا على الحرس)

أخرجوها من هنا

واعزلوها عن باقي الرعية

حتى أنظر في الأمر وأحكم

وأنت يا غادي

حرر ما تراه نزاهةً لا تكلُّمْ

والضحى والقنوت، ويائيل في السبوت، ونافخ في الصور لمّا يفوت، الغطاس موعده طوبة، لا بعضًا من أيام توت، والنوروز مكمنه هنا، لا سُباتًا في البرمهوت، يا أيها البدو في كل عصر، مالكم تهيمون على وجه مصر، تنهشون جمالها، أو تسفحون كلالها، وحق من أخرج من رحمٍ الخلية العمياء إنسانا، لتتسفن إلى القيظ أرهاطًا ووحدانا ثم لتتسخن في حجْر الدهر دورانا، ثم تعودون إلينا كلمةً في نضوج الآيلة، لا قيسارية عندي للجرار أو الزبيب، والثلاثاء يومي لا قيامًا أو مبيت، فإن كان

طاعة أو نُسك، فلتأتوا عليه في الحبك، واذكر في المنشود حامل الزبيب إذ فر إلى نجاةٍ فلقيناه على القنطرة، من أين يا هذا أتيت بالمخمرة، قال : حاكمي بلادك ضاقت عليّ فلقيتك في القنطرة، وذلك مقدوري يا ذا الطول والمنظرة، وكذا ابن نسطور إذ هلك، كحامل الزبيب في غير دم سلك، وقومه في مرصود الحلك، إذ حكمنا عليهم بصليب من خشب، سبعة أرطال من نَصَب، وسروجٍ من سَنَطٍ في جميزٍ محتطب، لا ظهر خيلٍ يصمدون، بل بغالاً كيافور، وحميرًا كالقمر، على مثلها يمتطون، وإذا رأوني أو خطرتُ لهم ينكسفون، يطأطئون رؤسهم فينزلون، حتى تمر الخاطرة، أو تلهج في السامرة، نفوس بآثامها عاهرة، فكفّوا عن الشطرنج أيها البطالون، لا أديار أو كنيسَ في أرض أون، وإن شيد فتهبٌ للبدو والعلوج، من سلجماسة حتى بابل ذي البروج، أو حتى في بيسان وعسقلون، من رِملة اللدّ كان أو في طنجة القيروون.

(ضجة وجلبة وأصوات متداخلة تأتي من الخارج، وتأخذ في الوضوح شيئًا فشيئًا، أحد الغلمان السود يدخل مستئذنًا فيسمح له، يسر في أذن الحكم ثم يخرج، يأخذ الصوت في الوضوح ويغطي على دخول القادة الجدد يتقدمهم ابن بكار وفحل بن تميم ممن عيّنهم الحكم خلفًا لقرواش وبرجوان، يدفعان أمامهما أبا زكوة الذي يبدو في حالة إعياء تامة ملفوفًا بنسيج من الخيش تنز منه الدماء المتجلطة وقد

وضعوا على رأسه طرطورا، أصوات الرعاع والدهماء تأتي من الخارج طاغية على الحديث فلا يبدو من الحضور سوى إشارات أيديهم وإيماءات وجوههم.

الدهماء هذا المغدور أبو ركوة

لا شرفٌ في السيرة أو زكوة

يحيا في الناس هوانا

ويموت على الملأ جبانا

هذي عاقبة الخائن

وجزاءٌ من حَكَمٍ بائن.

(يتكرر صياح الدهماء في حين يسقط أبو ركوة ويشير الحكم إلى ابن بكار وفحل بن تميم بحمله والخروج، ومع خروجهم تأخذ الأصوات في الخفوت شيئًا فشيئًا بينما يأخذ غادي وضعية الكاتب ويعود الحكم إلى المنشود).

الحكم سُحقًا لكم أيها العادون، يا من إليّ بالعصيان طالعون، فإن كنتم للفتنة فاعلين، وعن منشودي غافلين، فستعلمون في باب الفتوح كيف يكون اليقين، ولقد تركنا في المنشود ما فيه الكفاية والحرس، ألا حمّامًا إلا بجرس، لمن كان هودًا أو صليب، وحرامٌ من الآن فصاعدا، تطليعٌ في النجوم أو المدى، فإن وجدتموهن قعودًا فتجريسٌ بالنواصي والتخوم، وفي عاشوراء إذا أعجبكم الحفل فأكلتم عجين الرسول من رِفْده المذبوح، وغمستم أنوفكم في دماء مواليه مسوًا وصبوحْ، فكتبنا عليكم من

حينها ثلاثة أيام لا تلتقون إلا رمزًا فوق السطوح،
وحوانيت لا تفتحوا إلا ما اضطررتم في خبيزٍ غير
ناظري إناءه المسفوح. أيها الحمقى، من أين تجيئون
بدفئ لو راحت شمسي خنقا، ومن ذا يكلؤكم
بالدهناء إذا غارت مائي عمقا، ألا ترون علاماتي في
كل شيء، سحبًا ورياحا، وكؤوسًا أقداحا، ودموعًا
أملاحا، أوجاعًا تتضج ورواحا، فإذا خطر الخاطور،
فورًا يعقبه التنور، أصلابٌ تغلي وتفور، لا عملاً ثمَّ
برّينا مقبور، يخرج فصحًا في النور، معتمدًا يقرأ
منشوده، يبدي مفنوصًا ويعيده، حتى إذا جاء تمامًا
في التأويل، وانحلّ الباطن والمستور، واتحد الأصل
مع التصوير، فلا كدحٌ ثمَّ الآن ولا مكدوح، لا
جسدٌ منبثقٌ عن روح، أو حسٌّ في شغبٍ مجروح، لا
مفروزٌ غاب وفائده ينوح، بل كلٌّ آب إلى أصلٍ
موحود، فلا عمل البتة لاحرسٌ وجنود، أو تجريسٌ
محفوفٌ بشهود، فذي طلعة الآيلة تمامُ المنشود،
فقولوا لا حاكم إلا هو حتى ينفك النّسْخ عن الأسر
المحدود، ويروم إلى الآيلة.

الطلعة الرابعة

الحضرة منصوبة في قرافة المحروسة، حلقة الذكر محتدمة، حشد من الدهماء والعبيد ورجال الحَكم، أجساد تتمايل على إيقاع الدفوف، العرق يتصبب من الجميع، بين لفتة وأخرى يبدو حكم الله وسط الدائرة منخرطًا معهم في الذكر، من خلفهم تلوح قبب الأضرحة والقبور، الرايات الخُضر مرفرفة بين الأشجار والبساتين داخل القرافة.

نشيد الحضرة مدد مدد يا حكم

ربك خلقنا أمم

مدد مدد يا حكم

وفاض علينا النعم

مدد مدد يا حكم

وأرسل لنا حكم

مدد مدد يا حكم

ونظرة تشفي الألم

مدد مدد يا حكم

وفي الورى علم

مدد مدد يا حكم

صوت منفرد يا سميّ الروح يا زهو المدى

إن منك طرفٌ قد بدا

يسْبِ الفؤاد تعبدا

فلا يَضِلّ بشهوة

في النفس تعلو ترددا

نشيد الحضرة مدد مدد يا حكم

ربك خلقنا أمم

....

....

صوت منفرد كل جِرْم من تراب في تراب يستقرُّ

قيامةً عند التمامْ

إلا جسوم النور في الدرر

لا انقسامٌ يعتريها أو خصامْ

كل جرم من تراب في تراب يستقر

حتى يتم النور من حرف الظلامْ

فانظر قرارك يا غريب ولا تقل

مسعاي أحصد إن أفاد فلا يضر

فماء روحك نافذٌ فيك إلى الممات

ولا مفر

نشيد الحضرة مدد مدد يا حكم

ربك خلقنا أمم

مدد مدد يا حكم

وفاض علينا النعم

....

....

(عقب انتهاء النشيد يسرع بعض الغلمان والخدم، يأتون بأريكة مجهزة بالوسائد والزينة عليها المظلة، يجلس الحكم، يصطف الجميع عن يمينه وشماله وقوفًا وقعودا، يعتدل الحكم في جلسته، يحبك العمامة فوق رأسه، يمسد لحيته، يتأهب للحديث ناظرًا جهة اليمين ومناديًا)

حكم الله أيناك يا ريدان

أبدلَنا الله بروحك خيرًا من غادي

فقد كذب علينا

وادعى في المنشود إنشادي

فأينما حلّ فقتلٌ بعد تجريس

ثم خرابٌ لديارٍ وحميس

(يعاود النظر جهة اليمين)

أيناك يا ريدان؟!

(يظهر ريدان متخطيًا الحشد جهة اليمين ويدخل أمام الحكم، حقيبته تتدلى من كتفه وفي يديه الأقلام والقراطيس)

ريدان ها انذا يا حميس الطمي

يا طلعًا منير

يا قوت قلبي.. يا متاعًا للفقير

(همهمة متصاعدة من الجموع تحاول الانخراط في الحضرة مع أصوات التهليل والتكبير، ينهرهم الحكم بالحركة والإيماء ثم يخاطب ريدان)

أحسنت يا بن العيش

أنشدهم طلعتنا الأخيرة

(يصعد ريدان الأريكة، يجلس على يسار الحكم، يستوي في قعدته، يفتح الحقيبة، يخرج منها القراطيس ويأخذ في القراءة)

ريـــــدان والكاف ذي الشجون، وفؤادي المطعون، بعد آوان لو آن يؤون، من قبضة يافور وذي النون، فاذكروني لو يغفلون، عداتي من لداتي، لا نكورًا في الذوات، إن في الحيا أو في الممات، أما تراهمو في شُغُلٍ ساهرين، وعن المنشود غافلين، لا بضنك أو بيسر يقنعون، عداتي من لداتي، لهم صلاتهم ولي صَلاتي.

(هياج ومقاطعة من العامة والدهماء)

صـــوت ١ من ذا ينكر مولانا

ويخوض بسيرة رجوانا

(يكمل ريدان)

والليل إذا جَنّ، وشفاء في الجمر أكن، ما كان الهامان وزيرًا مصريا، كلا وصانع العجل في سينا ما خطر، على أم عمرام قدومًا من سمر، فذا مقام حينها ما سفر، والنحل إذا طن والكهل إلى شغب قد حن، إن هامان واستير كانا في الأخشوير خصاما، إذا حط القتل على القوم خمدت للملك علاما، فاصطفاها بقضيب ساطعة، فانقلب القتل على الهامان ومن معه.

صـــوت ٢ تبًا للنون وروح اليافور

خلّصنا من هذا الشجن المأسور

(ينتفض الحكم واقفًا كمن فزع من منام)

الحكم طمئنوا لي فؤادي

بقتل ابن زيري

والمدعي غادي

طمئنوا لي فؤادي

من قبل احتجابي

رواحًا في الكتاب

وزوال خيمتي

(ناظرًا صوب ريدان الذي مازال متأهبًا للقراءة)

أكمل لهم يا رَيْدُ

أكمل تمام نعمتي

ريدان ألفٌ تاءٌ نونٌ سين، رفٌ عشق إس، وتلك شهوة الإمليس، أم رُبّها الخيانةُ في الخميس، تالله ما لصنهاجة عندنا منجوق، وابن زيري إذ يبوق، كسميِّه من قبلُ ابن قوص، إذ ضَربنا عليهم بصواعق وبروق، وهياجٍ في النيل غَبوق، فما لسفينها فرّ ومروق، وما لهم عهدٌ لدينا، وحجارة من سما تدلت، لها الأعناق ذلّتْ، فترى الأقدام في هلكٍ تهيم، سالكة نهج البهيم، وكذا ظبية العُلبة، لمّا من شآمٍ أقبلت عقب مخاضٍ في خراسان ومَرْو، وما كادت تبلغ في الطولْ ولو باعًا من سرو، فلبثت لدينا ثلاثين ونيف، ثم فارقت جسدًا لمّا تجيّف، فكان جنازها آية، وشيّعها خَلْقٌ كثير، ومن بعد ملحودٍ تبدّت، بفتون

آخاذ وتفرّد، من نهر رجراج متمرّد، أو فخز فسّاقٍ متجرّد، فلما أفاقوا عشيا، تنحوا عنها نجيا، واستعبروا حتى السحر، بدموع تسحّ على النحر، ثم نسوا إلا قليلا، فتجلّى ربُّ منشودي...

(ينهض جمع من الدهماء مهللين، يتوقف ريدان، يحاول الدهماء الانخراط في حلقة الذكر مع إيقاع الدفوف، ينهرهم حكم الله الشوّاف غاضبًا ويصيح)

الحكـــــم ما جدوى الحضرة وخطابي المنشود

ما جدوى النجوة والفطرة

ما نفع سماطي الممدود!؟

وغدًا عند المغيب

تصبح أسمائيَ وكْرًا ولحود

وكرومي ليست في نبذ العنقود

وكل الذي من روحيَ همى

أبدًا إليها لن يعود

(أهازيج نسائية تأخذ في العلو والوضوح شيئًا فشيئًا، يصمت الحكم، يرهف الحضور السمع ناحية الصوت، يظهر موكب المبرقعات يطاردن ماريّا التي تحاول الاحتماء بالحضور من رجال الحضرة)

المبرقعـــــات نحن الحرائر يا أمة

يا بنت صقعٍ ظالمة

في الدهر زاغت أنجمهْ

أما سمعتِ عن السمة

نحن الحرائر يا أمة

يا بنت دار المشأمة

طابت نهودك همهمه

إن كنتِ صنو ملثمة

فأين الأبوك أو الحمه

جموع الدهماء مَنْ أولاء الملثمون

أرجالٌ منّا

أم نسل شياطين!؟

(مخاطبين ماريا)

ولماذا هم في إثرك يا امرأة

ماريـــــــــا (وقد أمسكت بتلابيت الحكم الذي مازال متسمرًا على الأريكة وبجواره ريدان)

سلوا رب عرشكم هذا الحكم

(تخاطب الحكم)

أمازلت متكئاً في القرافة!؟

تذيع منشودك سَبْحاً في الخرافة

(يزداد صخب المبرقعات، يضيّقن الخناق على ماريا التي تواصل خطابها للحكم)

متى قيامك يا أبي

قد طال مسخي في الجلافة!

(ينهض العبيد والدهماء من رجال الحضرة، يخلّصون

ماريا من أيدي المبرقعات مخاطبين الحكم)

الـــــدهماء من هذه يا مولانا الحكم!؟

الحكــــم تلك أمكم ماريا

تأمل تخليصاً من أيدي البدو

مُذ قدمها القيرسُ قرباناً مسبيّا

الـــــدهماء أهذي أمنا القبطية!؟

الحكــــم نعم، وتحسبني لتخليصها ظهريّا

جموع الدهماء (ناهرين المبرقعات)

إليكن عنها وارحموا رقة أحوالها

أما ترين سعير الأرض يَحُزّ بأطرافها

وأنت يا مولى الرقاب

أما تنهض وتطيح بأغلالها!؟

الحكــــم حان الخلاص اليوم من أسر العهود

فطوبى لمن فر من سفع المحن

فها قد أظلمت مثل أكناف الرعود

وقلبي الآن في شغل

فالقادمات أكلح من صر القيود

جموع الدهماء (يضربون كفاً بكفٍ وهم في غاية الدهشة، بينما المبرقعات يدفعن ماريا أمامهن آخذات طريقهن خارج القرافة في إثر ماريا وهن يرددن الأهازيج)

نحن الحرائر يا أمة

يا بنت صقع ظالمة

(وخلفهن جموع حلقة الذكر من الدهماء والعبيد

يصيحون)

مدد مدد يا حكم

ربك خلقتنا أمم

وفاض علينا النعم

مدد مدد يا حكم

(عقب انصراف حشد المبرقعات والدهماء في إثر ماريا، يقرفص الحكم غافيًا فوق الأريكة وبجانبه ريدان محتشدًا ومتأملاً في تحفز، قرقعة حوافر على بلاط الممرات يقترب، وصوت الحشد المنصرف يتراوح في العلو والخفوت، يفيق الحكم من غفوته على ظهور قائده ابن بكّار بصحبة فحل بن تميم، يضعان سيفيهما، يقبلان الأرض من تحت أريكة الحكم ثم ينتصبان أمام حكم الله الشوّاف.

ابن بكّار ها قد أنجزنا وعدًا من غيوب

وجئناك بغادي وابن زيري

من قاع فيافٍ وجيوب

(ينتفض الحكم واقفًا)

الحكم أفي حوض الحياة مازالا

أم سلكا الغيوب!؟

فحل بن تميم على قيد السلامة والنجاة

عبرة لمن خان في سُبل الحياة

الحكم أيناهما.. شاه وجهاهما!!

ابن بكار مربوطان في حديد المنظرة

عليهما جمعٌ حرس

آخذين في الجرسة والمسخرة

حاشدين بطرطورٍ وجرس

الحكـــــــم جرْسة ما قبلها جرسة

وحشدٌ من الخلق ليس مسبوقا

وشهودٌ بنصوب وتروس

دهماءٌ لا تأبه دمًا مسفوكا

(تدمع عيناه ويرفع كفيه إلى السماء)

لكنني لن أنتظر حتى أرى

شِفا غليلي في الدعيِّ المفترى

فكونوا لهم رصَدا

في السطع أو في القهقرى

(ينقطع عن الكلام ويعود لإغفاءته الأولى فيومئ لهما ريدان بالانصراف هامسًا)

ريـــــــــدان انظرانا عند المنظرة

(بعد فترة يفيق الحكم ويملي على ريدان الذي كان في غاية الاستعداد بالقلم والقراطيس)

الحكـــــــم والقلالِ وما بناها، في الربوع وما تلاها، سيأتي ابن طاطو في غيابي، إلى الدنيا وقت احتجابي، كاشفًا عنها حلاها، وقد سلكتم فجاجًا ما نهاها، قائفين ابن إيل، في غصّة تسد النيل، والمنشود وِخْرًا قد سلاها، فيقومون قيامًا، بحديد وقوائم، تحصد سبيًا وغنائم، ثم تكون لكم من بعد الغالبة، يوم يفز المنشود، بصخورٍ ورشود،

تصوييًا صبًا وشهود، على من كان نجسًا من إهود، وجذوعُ الأشجار تَشِفُّ، كأنها المرايا لمن يستخف، فليس الآن عَوّاد وكرور، بل تقتيلٌ وثبور، ودماءٌ من لحم منثور، حتى إذا حمي الخميس، واستوطن الرّوعُ الوطيس، وصارت باطن كفٍّ كفقاها، زعقت من غيظها النفوس، ترجو شفعًا ويبوس، وأنّى الحين وَسيلٌ ومكوس. أنا الحاج والمحجوج، إن رعدٌ أجٌّ وماجوج، وبدا في الجبهة مشجوج، سيظل دوارًا في الفالك، يستهدي بالرحم السالك، ألا إنهم ما تزكّوا، ومن كنوزٍ ما أفكّوا، إلا همسًا وهميسا، أعشارًا عن كرٍ وخموسا، وطموحًا ما انفك حبوسا، لا يبرح لبنًا مسقوفا، رجوتُ أنا الحاكمُ فعفوتُ، وذهبت جفافًا وغَموسا، وما انفك من أسري دفع الباطلين.

(جلبة وصياح يتصاعد، وجموع تتزاحم على أريكة الحكم في القرافة، يتقدمهم فحل بن تميم الذي يقترب من الأريكة ويخاطب الحكم)

فحل بن تميم: الدعي غادي وابن زيري شماتة

فكّتْ أسرهما ست الملك

بحشود من بدوٍ وزناتة

أدركنا يا رب النعمة

هرب الأنجاس من النقمة

(يشير عليه الحكم بالسكوت ويواصل هامسًا ويعاود ريدان الكتابة)

الحكـــــــم أبنْ لهم يا رَيْدُ مقصدي، والنيل والفرات، وطيور البرمهات، وتأويلي في الممات، قد بدا في الطوالع قطعي، ومالي مُحْتَجَبٌ غير المقطم، والأطرافُ من بعدي تثور، عُطْلاً ويُطْلاً عن دَرَكٍ ونور، توقظ في الروع النقمة، غَفْلاً عن سَدادٍ وحكمة، وما استفاق الغافلون من سبات.

(ينهض الحكم، يتبعه ريدان، يطمئن إلى قراطيسه وأقلامه ووراءهما جموع الناس مغادرين القرافة).

الطلعة الخامسة

قصر ست الملك، قاعة الاستقبال، نحيب وعويل مكتوم ينبعث من الداخل، الحزن يستبد بالمكان، اللون الأسود طاغ على كل المرئيات.. ملابس ست الملك.. قطع الأثاث والستائر وحتى عباءة عيّاش بن مرو الذي ظل منتظرًا في القاعة حتى خرجت عليه ست الملك فهَمّ للقائها فبادرته:

ســت الملــك   يا عيشُ

لو ما دفنوه في المخدعْ

ما ضمّه في الثرى مودَع

أحَرَسٌ في الموات وفي الحيا حرسُ

فكيف من السما أنواره تسطع!!؟

وكيف وحيٌ في الخلا

أو في مغارات المقطم!!؟

يا عيشُ

كفٌ عن دعوةٍ له

كفى ترديدًا لغيبةٍ من بعدها مرجع

أو يعقبُ موتةً بالسّم أو بالسيف من مطلع!!؟

يا شفاهُ إنْ لَمَتْ أوْلَمَتْ

ويا قيعانُ إن طَمَتْ أوْطَمَتْ

لا بعثَ بعد البعث لا..

ولا من حشا المقبور مستطلع

عيــــــــاش   وربِّ حالكات الفلك

ما سيدي بجرمٍ هلك

إن ساخ يومًا في الفيا

فقريبًا يؤوب من الحلك

ليخُطَّ تمام المنشود

مسطورًا من نور ما سلك

ســت الملــك   بأم عيونك ستشوف

غلمان الحاكم وجنوده

ومطيته القمر.. وخنجره اليعفور

جبته وبقايا الدم ومنشوده

علك تنزع عن غيِّك وتؤوب

عيــــــــاش   معذرة يا ست الملك

حاكمنا ليس خَشاشا إن أثمر يُقطعْ

حكم الله لم يخلق ليموت

وإن سفك رجالكِ في الفلوات دماه

حكم الله حياة تزهر في السَّغب إذا حلّ

ريحٌ للخصب وموفور المرتع

وستبصر أمُّ عيونك روح الحكم ومرآه

تحلّ وتخرج من أجرام شتى

فلا بورك في الطين إذا بالجهل يسود

فلا يبصرُ يومًا أسرار ضياه

ســت الملــك   لا تنس أيا عيشُ

أنّا مازلنا في النبذ ولم نقعدْ
لا نقدر أن نملك هذا البلد وذاك
بمزيد من نبذٍ في المقعد
فاقصدْ في غلواء الروح المغنوص
وخفف من وطء الباطن والمرصد
فبحكم السيف تلين قلوب الناس
ما لانت يوماً بالتأويل وتخريج المقصد
أخي.. قد مات بحكم السيف
لتحيا دولته
ما بالتخريف يعيش أو المنشود
ولو أكمل.. ستروح رياح العزة والسؤدد

عيـــــاش وإن صحّ الذي قلتِ
فما هلك عن الحكم طموح الروح
وإن قامت دولته بالسيف إلى حين
فيقينًا ستزول وتهلك

ست الملـك (غاضبة)
يقينًا كلكمُ مجانين
أنّى لكمُ بعيونٍ تُبصر؟
والأرض تكاد تميد وتنشق
تحت جنود الزهراء
وعروشٌ ستطيح وتندق
من لطم في الظلمات

وهياج في الدهماء يحطُّ ويفرق

وأنتم.. كيفما أنتم..!؟

(صوت أبواق تعلن قدوم رجال ست الملك، فتغيّر خديثها)

ها أنت - وأنت كبير دعاته -

سترى بأم عيونك

(يدخل موكب فحل بن تميم يتبعه ابن بكار وخلفهما يدخل غادي وابن زيري يحملان صندوقا مستطيلا. فحل وابن بكار يؤديان التحية لست الملك فتشير إليهما بالجلوس بينما يظل عياش واقفًا مأخوذًا بما يرى، وست الملك تشير على غادي وابن زيري بوضع الصندوق)

عياش مرحى.. وهنيئًا يا أهل الغدرة

آويتم في الظلّ وشقوته

طمرت أيديكم جسد الحاكم

ومحوتم في الصاخب خطوته

فحل بن تميم صهٍ.. أيها البطال.. انتظر

وهاك البشارة والخبر

(يشير إلى غادي وابن زيري بفتح الصندوق فيمتثلان، يشرع في إخراج متعلقات الحكم ويواصل خطابه لفحل بن تميم)

هاك الجبّة، من هنا انغرس الخنجر يعفور

(يشير إلى ثقب فيها)

وهنا اندفع الدمّ وصبغ حوافيها

عيـــــاش (مقاطعًا)
لا بورك فـي أفئدةٍ
الغدر حوى فيها
شاهت أوجهكم
وتنامت فـي الذل حوافيها
ســت الملــك صهٍ يا عيشُ
وانتظر حتى فراغي مما حوى فيها
(تشير إلى فحل بالمتابعة)
فحل بن تميم وهاك الخنجر يعفورٌ بالسمّ المفعم
وتلك ساق حمارته القمر
كي لا يمتطيها من بعده منعم
هذى بقايا منشوده
أصباغ وقراطيس لا تنعم
ســت الملــك خذها لو أردت فريما
تهل ذكراه فيك وربما
خلوت فينجلي
لك المستور عن كل خافٍ مظلمٍ
واعلم أيا عيشُ
ألاّ مكان لكم من بعده
أنت والفرغاني حميد وكذا الدّعيُّ الزوزني
وأبو حمزة وكل الدعاة لدينه
فتجهّزوا للنفي طواعيةً
وإلا فالسيوف تفزُّ إلى دماء الألأم

عيـــــاش كما تشاؤون.. ولكني أطمع في نظرة
تشمل جسدًا مخضوبا بالغدرة
ست الملك خذوه للمخدع عند شلباية
دعوه ينوح ويعتبر
ثم اصحبوه وكل الدعاة
إلى حدود الفلا
وإن أبدى أباةً وتمردا
فعالجوه بالسيوف إلى جُنْحٍ خلا
(ينصرفون وتبقى ست الملك محدقة في محتويات الصندوق مع حلول ظلام تدريجي وتصاعد ترنيمة البدو)
هذا من أزدٍ وقضاعة
أولاء بنو مضر وشفاعة
إن عصفت بالنجد مجاعة
أولاء عدان وقحاط
بالقلب تهام وبشاعة
أرهاط لم تحرث أرضاً
أو ترفع بنيانا وصناعة
(تتداخل معها أهزوجة المبرقعات حتى الإظلام التام)
نحن الحرائر يا أمة
يا بنت صقع ظالمة
في الدهر زاغت أنجمه
أما سمعت عن السمة؟!

نحن الحرائر يا أمة

يا بنت دار المشأمة

طابت نهودك همهمة

إن كنت صنو ملثمة

فأين الأبوك أو الحمه

(وعندما تتكشف الإضاءة بالتدريج مع انتهاء الأهزوجة ينكشف المكان عن مقبرة الحكم في مخدع شلباية، بجوار المقبرة تبكي ماريا وشلباية. سيدتان منهكتان تحت وطأة الحزن والبكاء تنوحان وتندبان الفقيد في ثياب الحداد)

ماريـــــا ما ليَ غير السواد والحداد وحُرقة النظر

يا ما انتظرتك يا حكم

حزينةٌ.. مسبيّةٌ في شطوط الزمن

من فوق أشلائي عبرت رغاب الأمم

طحنت عظامي

راودت روحي..

راودت في الدماء

وما كسّرت حزني

أو نازعتني في الفؤاد

ماذا أسميك يا فائدي؟!

يا سيد الظلام والغباوة

غرست في الضفاف مناحةً

ونذرت نيلي للمحن

شيّدت فـي الشّطّ نزيزًا للبداوة
حقدًا جديدًا تطاول في الفتن
حتى هامات النخيل
وحليب الجنين..
نسغ الرجولة والأنوثة فـي الرحم
ما لي غير السواد والحداد
وإدامة النظر
يا غيمة عبرت ما بللت حتى حفيف الشجر
يا نسمة هبّت ما بددت وحشةً
أو حركت مستكين الوتر
شـــــلباية دومًا يأتيني الهاتف
أني سأعيش لأحزاني
تنهشني الوحدة والخوف العاكف
يمرُّ حدادٌ تلو حدادٍ
ونيلُ الشعبِ إلى البحر
كما السعي الخائف
تجيء بشاراتٌ تلو بشاراتٍ
لم تسفر عن ماء.. بل زبدٍ
وسحاب يرمح فـي قيظٍ صائف
اخنسي يا بشاراتي
وغيضي يا دموع العين
فما لي سوى المكتوب آلف
إلى أن يؤوب يوميَ المشوّهُ

عن غيّهِ

أو يستقيمَ على الدرب المخالف

(تلتفت شلباية صوب عياش بن مرو الذي دخل إلى المخدع برفقة غادي وفحل بن تميم وابن زيري ومعهم ابن بكار، تمسك به شلباية من صدر جلبابه وتهزه بعنف.. وتواصل)

أيناكم يا رجال دعوته

خذلتموه.. غمستم أياديكم في حرير دماه

وقلتم غيبةٌ ويعود

يهمي بيانًا من سجاياه

طعمتم خبزه قبل اليوم فضلاً

وغدًا تسكبون نكيرًا في إناه

ماريـــــــا (مقاطعة وهي تنوح)

حتى متى كلما فزّ الحلم مني

مال عني وانقطع!؟

وحتّام تكبرون على عيني ضحايا

مكبلين في المسعى إن سطع

يتامى أو حزانى

أماراتٍ للهدى لم تُطعْ

عيـــــــاش مآلكِ النوّحُ يا ربة الأمن

يا رحمًا بالحيا يتدفقُ

أمنْ عِنَّة حاصرته الضغينة

أم هي الجهالة بالبداوة تخفقُ

(ملتفتاً صوب ابن زيرى وجماعته)

أم إنها الأرحام كفرت بأيماضيها

جحدت خطاها بالخيانة

بئس المِرفقُ

ابــن بكــار (مخاطبًا ماريا وشلباية)

نوحا عليه كما تشاءا

فقد جعلناه قرينًا في المعيّة

رفاتٍ مطمورةً في مخدعه

فتيقظا من عَوْد المنون

أو نبشٍ في الرفات من بعد المنيّة

فميتكم له في الخلق ثاراتٌ

ستحيا بالدماء السرمدية

عيـــــــاش (ملتفتًا صوب ابن بكار وجماعته)

قبضُ جمرٍ أضرّ بمهجتي

أم قبضُ أمر

من منا يحتضر الآن أيا حمقى

عالمكم أم ذاتي!؟

عالمكم في قبْضِ الجند

في لغة الدرهم والدينار

في الأيدي الضريرة

عالمكم محبوسٌ أيها الأنجاس

في شيخوخة الروح واللغة الحسيرة

وغداً سيعود الحَكَمُ إلى أوبته

بعد غيابٍ سالكًا فيض البصيرة

ذاتي ذاته.. روحي روحه

غيبته عين حضوري

تتلاشى إن حان هلاله

حاديًا من خفو السريرة

(وقبل أن يفرغ عياش تدخل جماعة من الملثمين يحملون المقارع والسلاسل، يضربون ابن بكار وجماعته، يكبلونهم بالسلاسل ويجرونهم للخارج، بينما لا يبقى سوى ماريا وشلباية تبكيان بجوار القبر ومن خلفهما يبدو عياش بن مرو في طريقه إلى الانصراف).

انتهى الجزء الثاني، ويليه الثالث "أور الجديدة"

عباس منصور / خيطان في ٢٧ مايو ٢٠٠٥

المؤلف

عباس منصور

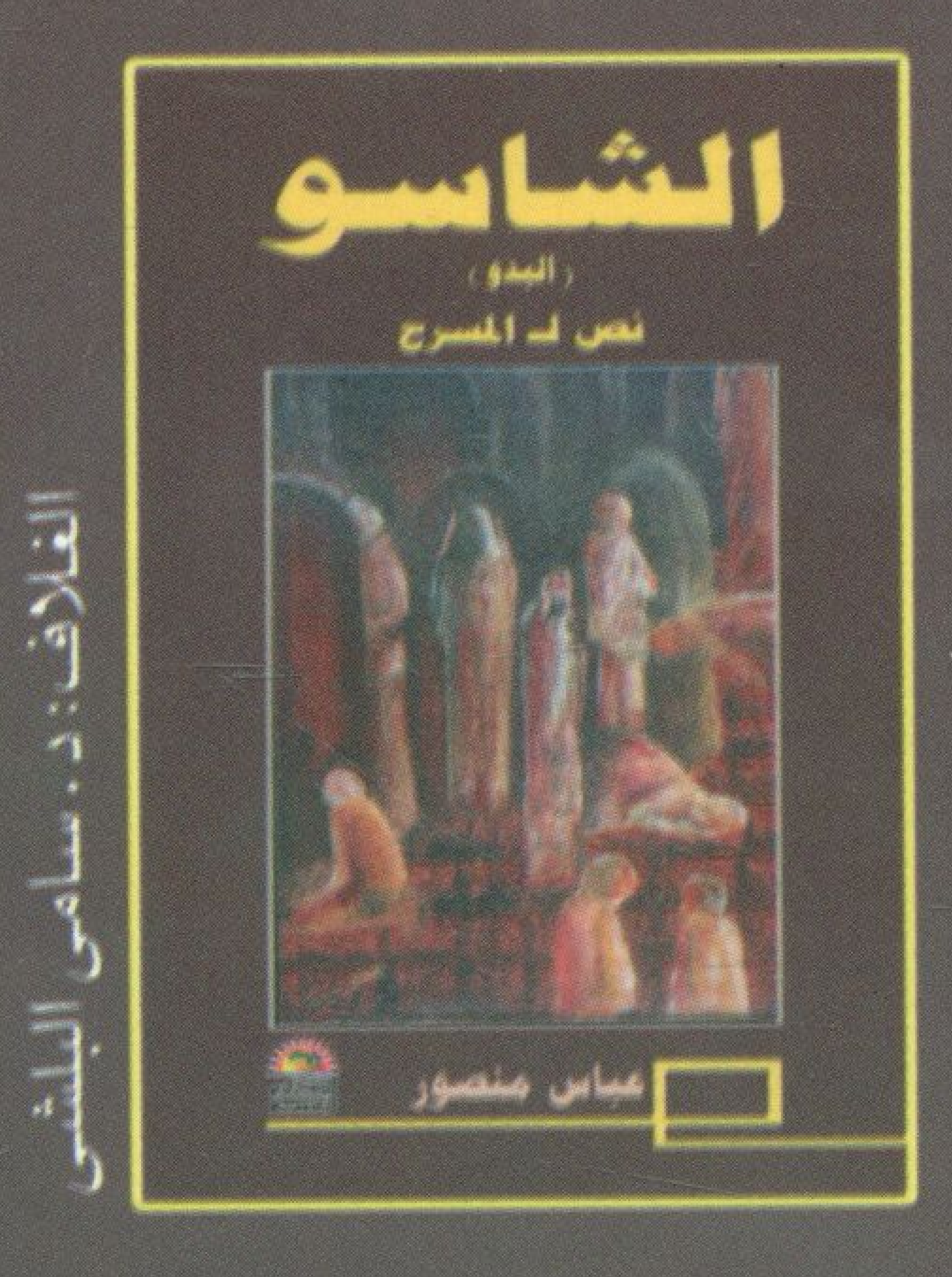
- من مواليد سندبسط – زفتا – غربية ١٩٦٢.
- تخرج في دار العلوم ١٩٨٥.
- يعمل بالتربية والتعليم منذ ١٩٨٧ على فترات متقطعة.
- عضو اتحاد الكتاب وأتيليه القاهرة.

◆ صدر للشاعر:

- وجهان في المساء، دار الغد، ١٩٩٠.
- مدينة أخرى، مطبوعات الرافعي، ١٩٩٣.
- في المقهى طبعًا، أصوات أدبية، ١٩٩٦.
- الخسائر الناجمة عن المشي، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٣.
- صلوات مصرية، دار طابا، ٢٠٠٤.
- الطماشة، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٧.
- الشاسو، مركز الحضارة العربية، ٢٠٠٩.

◆ قيد الإصدار:

- سيرة حبشي، رواية.
- واحد من مصر، مقالات.



الغلاف: د. سامى البلشى

اللصوص في الإسكندرية يا حكمْ
وقيراس المغتصب
قعد مكان الأب على كرسى الربْ
وأعلى سارية النّصَبْ
قتّل ذرّية بنيامين
وعساكرُ هيراقليس تلاحقه في سيوة والنطرون
اللصوص في الإسكندرية يا عطيةْ
وقيراس بني الكرد أهداني ضحيةْ
لآلهة الصحارى
للفاتحين أبواب المنيّةْ
ونسرين أختي أعطاها مطيّةْ
لشاعر الخزرجيْن بني الحطَمْ
يا إسكندريةُ
أكلما رفعتُ قلبى إليكِ
عيّروني يا سبيّةْ !؟

«من حوار مارى كابت مع حكم الله الشواف فى الطلعة الأولى من الجزء الثانى العزيز سام».

عباس منصور



